الاحتفال بذكرى ميلاد سيد الأنبياء ﷺ

أحكام وآداب



إعداد

د. محمود توفيق محمد سعد

أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم

فى كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف

شبين الكوم - المنوفية

توزيع مكتبة علاء الدين

شبين الكوم. ت : ٠٤٨٣١٥٧٤٩

الاحتفال
بذكرى ميلاد سيّد الأنبياء
أحكام وآداب

إعـداد

مَحْمُود توْفِيق مُحَمّد سَعد

أُستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم
في كلّيَّة اللغةِ العرَبيّة
جامعة الأزهر الشّريف
شَبين الكُوم - المَنُوفيّة

توزيع

مكتبة علاء الدين

شبين الكوم : ٠٤٨/٣١٥٧٤٩

الإهـــــــــــداء

أهدي هذه الرسالة اللطيفة إلى ابنتي
عـــزة محمـود توفيق
الطالبة في كلية الدراسات الإسلامية للبنات
شعبة الشريعة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف
تلك التي أسعى مستعينا باللّه (جلَّ ثناؤه) إلى إعدادها لتكون من أهل القرآن الكريم تعلُّمًا وتعليما وتأدبا ودعوة بلسان حـالها الصادق ولسان مقالها البليغ إلى اللّه (عَزَّ وَجلَّ) بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تستمسك بالكتاب والسنة النبوية، وأن تدحض البدعة وأهلها . وأن يرزقها اللّه (جَلَّ جَلالُهُ) وأشقاءها الشهادة في سبيله انتصارًا للحقِّ بالحقِّ لتكونَ قُرَّةَ العِين في الدُّنيا والآخرةِ ،واللّه العَليّ العظيم الهادي إلى سواء السبيل والمعين على مافيه رضوانه العميم وإحسانه العظيم.

(والدك)

الطبعة الأولى : ١٤٢٥ –

بسم اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العَالَمِينَ·الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ·مَالِكِ يَوْمِ الدِّين

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ

اللهمَّ صلِّ علَى مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِ مُحَمَّد كما صلَّيْتَ على إبراهيمَ وَعلى آلِ إبْرَاهِيم إنك حَمِيدٌ مَجِيدٌ

وبارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِ مُحَمَّد كما بارَكْتَ على إبْراهيمَ وَعلى آلِ إبْرَاهِيم إنك حَمِيدٌ مَجيدٌ

أمَّا بعد: فمن سنة الله - سُبْحانه وتعَالَى – في خلقه أن يصطفي من كلّ جنس بعضًا منه يجعل له من الفضل ما لا يجعله لغيره ، لا تكادُ تجد جنسًا من خلقه إلاّ وفيه من تلك السُّنّة الإلهيّة ، فاصطفى من بني آدم – عليه السّلام - مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ، واصطفى من أولئك الأنبياء ثلاثة عشر وثلاث مئة رسول، ([1])، واصطفى من أولئك الرسل خمسةً وعشرين رسولاً نكرهم في القرآن الكريم ، واصطفي من أولئك الخمسة والعشرين رسولا خمسةً جعلهم أولي العزم من الرسل، واصطفى من أولئك الخمسة نبيَه ورسولَه وحبيبَه وخليلَه سيدنا محمد بن عبد الله- صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم–

فكان - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - صفوة الأصفياء .

[1]) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده في حديث طويل عن أبي أمامة فيما كان من شأن أبي ذر مع النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – إذ سأله: (يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا.) (ج ص ٢٦٦)

فقد روى الدَّارمي في سننه بسنده عن سيدنا ابن عبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهما – قال : " جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - ينتَظِرُونَهُ ، فَخَرَجَ حتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ ، فَتَسَمَّعَ حَدِيثَهُمْ ، فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ :

عَجَبًا إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً ، فَإِبْرَاهِيمُ خليلُه .

وقَالَ آخرُ : ماذا بِأَعْجَبَ من " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً " ؟ وقالَ آخرُ : فعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ وقَالَ آخرُ : وآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - ، فَسَلَّمَ ،وقَالَ :

قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ أَنَّ إبرَاهيمَ خليلُ اللهِ ،وهوَ كذلِكَ ،ومُوسَى نَجِيُّهُ، وهوَ كَذلِكَ ،وعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ ،وَهُوَ كَذلِكَ ،وآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ كَذلِكَ .

أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ ولا فَخْر

وأَنَا حامِلُ لواء الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ ولا فَخْر

وأَنَا أَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَومَ القِيَامةِ ولاَ فَخْرَ

وأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ بِحلَقِ الجَنَّةِ وَلا فَخْر ، فَيَفْتَحُ اللهُ ، فَيُدْخِلُنِيهَا ،ومَعِيَ فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ ،ولا فخْر

وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِين والآخرين على اللهِ ولا فَخْرَ " ([1])

ذلك بعض شأنه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَّم - ، فكان أهلا لأن يمتنّ علينا الله - سُبْحانه وتعَالَى - ببعثه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - فينا ، فهو النعمة الجليلة علينا :

[1] - سنن الدَّارمي :المقدمة – ما أعطي النبي - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – من الفضل

(لَقدْ مَنَّ اللَّهُ على الْمُؤْمنينَ إِذْ بَعَثَ فيهمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عليْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (آل عمران:١٦٤)

وهذا من عظيم مَنِّه بعظيم نعمه على عباده ، ومن حَقِّ كل نعمة شكرها ، فكان لزامًا أن ينادي عليهم - سُبْحانه وتعَالَى – قائلاً :

" فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الألْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ٠ رَسُولاً يَتْلُو علَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) (الطلاق: ١٠-١١)

وكان - سُبْحانه وتعَالَى – يأمرُ نبيّه محمدًا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - قائلاً :

(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً)(الإسراء: من الآية٩٣)

حتّى لايحسَبِنَّ أحدٌ من العالمين أنّه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – قد تجاوز مقام الرسالة .

وقد كثر في القرآن الكريم تذكيرنا بأنه نبي رسول ليس عليه إلا البلاغ المبين :

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (المائدة:٩٢)

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) (المائدة:٩٩)

(فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَايُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(هود: ١٢)

(فَإِنَّمَا علَيكَ الْبَلاغُ وَعلَيْنا الْحِسَاب)(الرعد: من الآية٤٠)

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النحل:٨٢)
(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النور:٥٤)
(وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (العنكبوت:٥٠)
(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ) (الشورى:٤٨)
(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الاحقاف:٩)
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (التغابن:١٢)

هذه المعاني الثلاثة :

- أنّه من أعظم منن الله - عزَّ وَجلَّ - على عباده
- وأنه بشررسول،
- وأنّه مبلغ عن ربه - جَلَّ جَلالُهُ - مبشر من أطاع ومنذر من عصى ، ولا يملك إلا ذلك

قد عُنِي القرآن الكريم بتصريفها وأقامتها في كثير من سياقاته البيانية ليكون المسلم منها على ذكر ، فلا يغفل ، مما يجعله العليم بأنَّ أعظمَ إكرامٍ لرسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – وأعظمَ حبٍ له أن تكون علاقته به - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – مؤسسة على تلك المعاني لا إفراطا ولا تفريطا، فلا ينسى المسلم أبدًا أنَّ سيدنا محمدًا عبد لله - سُبْحانه وتَعَالَى – وأنَّه رسولُه بل سيدُ المرسلين أجمعين

،وأنّه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ليس عليه إلا البلاغ ،وأنه ليس عليه هداهم وأنه لا يهدي من أحب ، وإلا كان القادر على هداية عمه ابي طالب وهو الذي رعاه كمثل ما لم يرعه أحد من الناس وبرغم من هذا لم يملك - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - إنقاذه من النّار،ولم يملك أن يجعله ينطق بكلمة الشهادة

ذلك أنَّ الله - سُبْحانه وتَعَالَى – الذي خلقه وأرسله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – لم يُقَدِّرْ أن يموتَ أبو طالب مسلما ، وهو - سُبْحانه وتَعَالَى - الذي قَدَّرَ أن يموتَ وليدُ رجلٍ يهوديٌ زاره الرسول - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وهو يجود بنفسه فعرض عليه الإسلام في محضر اليهودي: والد الصَبِيٍّ فكان قدر الله - سُبْحانه وتَعَالَى – أن ينطقها الصبي قبيل موته فينقذه بها من النّارِ

روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ ثابِتٍ عَنْ أَنسٍ - رضى الله عنه - قَالَ : "كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِىٌّ يَخْدُمُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « أَسْلِمْ » . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهْوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم . فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ يَقُولُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ »([1])

وفي هذا أعظم دلالة على أنّه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – مسلّمٌ أمره إلى خالقه ومرسله - سُبْحانه وتَعَالَى – وأنّه لايملك من الأمر شيئًا .فما هو إلاّ مبلغٌ عن الله - سُبْحانه وتَعَالَى - أمره ونهيه لعباده

---

[1]) صحيح البخاري : الجنائز باب (إذا أسلم الصبي فمات ...) حديث ١٣٦٥

فحقّ الله - جلّ جَلالُهُ – وحقُّ رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – أن نلزم طاعته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فلا نتجاوز ما جاء به أمرًا ونهيا ، ففي هذا المنجاة في الدارين .

قضى الله – جلّ ثناؤه - قضاءً مبرمًا لا ينقضُ ولا ينسخ ولا يؤوّل أنه :
(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَنْ تَوَلّى فَمَا أَرْسَلْنَاك عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) (النساء:٨٠)

(وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) (النساء:٦٩)

(وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (النور:٥٢)

فمحبة الرسول - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – ليس أساسها الهوى ، ولكن أساسها الشرع ، فإنها عبادة وطاعة وقد جاءت سنته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – مقررة أنَّ من أحدث في الإسلام أمرًا لم يكن على عهده - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فهو على صاحبه مردود غير مقبول وإن كان مبعثه مزيد المحبة له - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم –

روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة بنت الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهما – أنّ رسولَ الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – قال :

« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هَذا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ »[1]

---

[1]) صحيح البخاري :كتاب الصلح باب (إذا اصطلحوا على صلح جور) ، وصحيح مســـــلم كتاب الأقضية باب (نقض الأحكام الباطلة) حديث (١٧/ ١٧١٧)

وفي رواية للبخاري في كتاب البيوع: « ...من عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ علَيْهِ أمْرُنا فَهْوَ رَدٌّ »

ذلك أنّ العمل الصالح عياره وميزان قبوله أمران :

= أن يكون خالصًا لله - سُبْحانه وتَعَالَى -

= وأن يكون موافقا لما جاء به الشرع كتابًا وسنة

لهذا كتبت هذه الرسالة الوجيزة لأُبين للناس حقَّ رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - عليهم ، والوجه الصحيح في الاحتفال به وإكرامه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - على هدي من سنته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - وما بلغه عن ربِّه - سُبْحانه وتَعَالَى - متطهرين من سلطان الهوى فليس أضر بالعبد من مثل اتخاذه هواه عيارًا وميزانًا يزن به ما ياخذ ويدع ، وقد ذمَّ الله - سُبْحانه وتَعَالَى - من كان على تلك الشاكلة فقال - جلَّ جَلالُهُ - :

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَ هُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص:٥٠)

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (الجاثـية:٢٣)

وغير قليل مما نراه فيما يُسمّى مشاهد الاحتفال بميلاد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - قد طغت عليه آثار الهوى ورغبات النفوس الهاربة من الالتزام بما تركنا عليه رسولُ الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - مِنَ المَحَجَّةِ البَيْضاءِ .

وقد نهانا الله - سُبْحانه وتَعَالَى - عن اتباع الهوى والإخلاد إلى من يتبعون أهواءهم :

(..وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام:١٥٠)

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الجاثـية:١٨)

(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (الأنعام:٥٦)

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (البقرة:١٢٠)

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ) (الرعد:٣٧)

(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون:٧١)

(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى:١٥)

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (الجاثـية:٢٣)

ونهانا - عَزَّ وَجلَّ - عن أن نقعد مع من ليس من أهل طاعته ، فقال:
(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ

اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) (النساء:١٤٠) ومن سمع آيات الله تتلى عليه ، ولم يستجب ولم يقل سمعنا وأطعنا كما هو شأن المسلم :(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور:٥١)
فإنه لا شك داخل في من جاءت في شأنهم آية (سورة النساء) ،وعلى المسلم أن يتخذ منه مثل ما يتخذه من الذين تحدثت عنه آية (سورة النساء) .

وكذلك حذرنا رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – من اتباع الهوى في أمرنا ، وأن نتخذه عيارًا وميزانا نزن به ما نأتي وما نذر :
روى " أبو داود" في سننه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللهُ عَنْهما - أنه قال : ألا إن رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - قام فينا فقال : " ألا إنَّ مَنْ قبلَكم مِن أهلِ الكتابِ افترقوا على ثنتين وسبعين مِلّةً وإنَّ هذه الملّة ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعين :
ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة
زادابن يحيى وعمرو في حديثهما : وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه
وقال عمرو :الكلب بصاحبه لا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله)[1]
وروى الترمزي بسنده عن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت :له كيف تصنع بهذه الآية ؟
قال أيَّةُ آية ؟قلت : قوله : " (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(المائدة: من الآية١٠٥)"

[1] - سنن أبي داود - كتاب سنة – باب (شرح السنة)

قال :أمَا والله لقد سألتَ عنها خبيرا : سألت عنها رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - فقال :
" بل ائتمِرُوا بالمعروفِ، وتناهَوا عن المنكرِ حتَّى إذا رأيت شُحـًا مُطاعا ، وهوى مُتبعا ،ودنيا مؤثرة ،وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصَّة نفسك ، ودع العوامَّ ، فإنَّ مِنْ ورائكم أيامًا الصبُر فيهن مثلُ القبضِ على الجمر ، للعامل فيهن مثلُ أجر خمسين رجلا يعملون مثلَ عملِكم."
قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة
قيل : يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟
قال : بل أجر خمسين منكم .) (قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ([1])
فعلينا أن نحسن الاستماع إلى ما جاء به كتاب ربنا - سُبْحانه وتعَالَى – وما جاءت به سنة نبينا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – وأن نُنْزِلَ أنفسنا وما تهوى على ما جاء به بيان الوحيِ قرآنًا وسنة ، لا أن ننزلهما على ما تهوى أنفسنا ، فما كان الله - سُبْحانه وتعَالَى – ليرضى بان يكون كتابه وسنة ورسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – تبعا لما تهوى أنفسنا

والكبار فينا لا يرضون هذا من حالهم أن يكونوا تبعا لهوى من دونهم من أبناء جنسهم فكيف بالله - سُبْحانه وتعَالَى ؟ !!!

ولو أنَّا تطهرنا من الخضوع لهوى أنفسنا واستمعنا إلى ماجاءنا عن ربّنا - سُبْحانه وتعَالَى – وعن رسولنا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – لاستقامت حياتنا الخاصة والعامة في شتى أرجائها وأبعادها ومجالاتها لا أستثني من ذلك شيئًا، فإن كتاب ربنا - عزَّ وَجلَّ – وسنة نبينا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – لم يدعا شيئًا من أمور حياتنا التي بها

---

[1] - الجامع الصحيح للترمذي: كتاب تفسير سور الأنعام

عز دنيانا وسعادة عقبانا إلا و جاء بيانُه فيهما ، ولذلك حثّنا القرآن الكريم على الطاعة والتقوى ، ففي ذلك منجاتنا :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) (الأنفال:٢٠)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:٣٥)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة:١١٩)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (لقمان:٣٣)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب: ٧٠-٧١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد:٢٨)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر:١٨)

فهذه آياتٌ عديدةٌ جليلةٌ تُنادِي علينا أن نلزمَ الطاعة والتَّقوَى ، ومِثْلُ هذا ليس من بابة الحريةِ الشخصية التي يكفلها (الدستور) كما يتصايح به العلمانيون وأدعياء التنوير والنُّخبة المثقفة وأحبارُ المجتمع المدني بل ذلك فريضة على ولي الأمر العام أن يحملَ النَّاسَ إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ويعينهم على هذا بتيسير السبيل إليه ، ويأخذ بيد من سعى إلى ذلك ويُثني عليه ، ، ويأخذ على يد من أعرض ونفر ؛ لأنَّ ذلك من

باب الأمن القومي للأمة لأنَّ المُتمرِّسَ بالمعاصي المُستهتر بالآثام المُولعُ بالفسوقِ والعِصْيان لا يضرنَّ نفسه وحدها بل إن ضررَه ليقع عليه وعلى الأمَّة كلِّها .

وأدني تلك المضارِّ أثرًا أنَّ الله - سُبْحانه وتعَالَى - يتخلَّى عن تلك الأمة ، ويَكِلُها إلى نفسها ،فتهلك ، ولا تُقالُ عثرَتُها وقد قال - سُبْحانه وتعَالَى- :

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال:٢٥)

وإنَّ من تلك الفتنة إشاعةَ الفسوق والعصيان في الأمَّة ، وتركَ من يفعل ذلك دون أن يأخذ ولي الأمر العام على يديه ،وإذا ما كان من مسؤولية هذا الولي العام أن يحمي الأُمَّة من داخلها ومن خارجها ، وأن يسهر على المرابطة في كل ثغرٍ يُمكنُ أن تؤتى الأمَّةُ من قِبَلِهِ ، فإنَّ أشدَّ الثغور خطرًا ثغرُ الفسوقِ والعصيانِ ، فكيف بمن يأذن لأولئك ، و يمنحهم التراخيص الموثقة ، ويُجَنِّدَ الجنودَ لِحمايتهم في مواخيرهم مبارزين الله - سُبْحانه وتعَالَى- بالمعاصي

وإن علينا جميعًا أنْ نقيَ أنفسنا وبلادنا غائلة إيكال الله - عَزَّ وَجلَّ - أنفسنا وديارنا إلينا ، فنهلك.

علينا أن نلزم الطاعة والتقوى ما وسعنا الجهد:(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا)(التغابن: من الآية١٦]

هذا من إعداد العدة لملاقات أعداء الإسلام والانتصار عليهم ، وتلك فريضة لازمة لازبة :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال:٦٠) (١)

١) جاء في صحيح مسلم أن عقبة بن عامر قال : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ » : كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه حديث رقم (١٦٧/١٩١٧)
وليس الحصر المستفاد من قوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - (إنّ القوة الرمي) وهو ما يعرف بالحصر بطريق تعريف الطريفين هو من قصر الموصوف (القوة : المسند إليه) على الصفة (الرمي : المسند) قصرًا حقيقيا تحقيقيا بل هو قصر أقيم على الإبلاغ في بيان منزلة الرمي في ملاقاة الأعداء ،وهذا كمثل قوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - :(الحج عرفة) فهل عرفة هي الحج كله وليس من شعائر سواها ؟
إنّ من الإعداد والقوة كلّ ما يحقق للمسلمين ثباتهم وإقدامهم وانتصارهم سواء ما كان من الأسباب حسية مادية أو الأسباب معنوية ، ومن أهم الإعداد إعداد النفس للثبات على كلمة الحق والتصدي لأفاعيل بطانة السوء في الجبهة الداخلية ، والثبات أمام إصرار وسائل الإعلام (أو الإعلان العلماني) عندنا على أن تقيم في نفوس المسلمين أنّ أمريكا وبطانتها من دول الاتحاد الأوربي وغيرها في أيديهم أوراق كل شيء ،وأن العرب والمسلمين ليس في أيديهم أن يجيشوا الجيوش للتصدي لأمريكا ومن ناصرها .
كلّ ذلك ينفثونه في آذاننا ونفوسنا سمًا قاتلا ؛ لنتخاذل ونخضع لمرادات أمريكا وقراراتها . إن علينا أن نعدّ أنفسنا لِتَقْوَى بالحقّ وللحق ولتستعذبَ الجهاد في سبيل الله ،وأن تتخذه أملا تسعى إلى تحقيقه.
وإن من الإعداد أن نربي أنفسنا وأبناءنا وجندنا وطلابنا ونساءنا على ثقافة الجهاد في سبيل الله دفاعا عن الحق ونشرًا للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا أن نربيهم على أنّ الجهاد في الإسلام جهاد دفاع حين يغير علينا غيرنا ،وليس جهاد إقدام على نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أولا فإن منعنا من تلك السبيل كان السيفُ هو الفاتحَها ، ولا أن نربيهم على ثقافة السلام الزائف (الذي يسمى زورًا وبهتانا: السلام العادل:أرض- ما قبل الوكسة --->

وَلن تكون الطاعة التقوى ، ونحنُ نُصغِي إلى أهواءِ نفوسِنا ونَصُمَّ آذاننا عن نداءِ القرآنِ الكريمِ والسُّنَّة النَّبوية علينا ليُنقذنا من الذُلِّ في الحياة الدنيا ومن الشقاء في الدار الآخرة ، وليمنحنا عِزَّ و سعادةَ الدارين

وهذه الرسالة اللطيفة تسعى إلى أن تلقي ضوءًا على الطريق إلى الالتزام بالسنة النبوية وترك البدعة ، وإلى القيام بِنَزِيرٍ من شكرِ نعمة الله - عَزَّ وَجلَّ – علينا ببعث نبيه ورسوله سيدنا محمدًا - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – فينا ، وتسعى إلى أن تبين شيئًا من حق رسول الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم –

وهي تضع نصب عينيها أن تعليم الناس الخير من فضائل الأعمال ومكارم صلةِ الرَّحمِ العامِّ بين الناس جميعا والمسلمين خاصة .

وقد جاء عن سيدنا " ابن عبَاس " - رضِي الله عَنْهُمَا - :

((نِعْمَتِ العَطِيَّةُ ، ونِعْمَتِ الْهَدِيَّة : كَلِمَةُ حِكْمَةٍ تَسْمَعُهَا ، فَتَنْطَوِي عَلَيْهَا، ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أخٍ مَسْلِمٍ تُعَلِّمُهُ إيَّاهَا تَعْدِلُ عِبَادَة سَنَةٍ))[1]

فانظر قوله (كلمة حكمة) فليس كل كلمة تسمعها وتنقلها يكون نقلها عبادة بل لا بدَّ أن تكون حكمة ، وإنَّ من الحكمة أن تدعو إلى إحياء سنّةٍ نبوِيّة ، وإلى إماتة بدعةٍ تظاهرت العامّة بل وبعض الخاصّة علىالأخذِ بها

<--- مقابل السلام) الذي يريده الجالسون على كراسي السلطة فينا حتى يطول بقاؤهم هم أو أولادهم وأحفادهم في تلك الكراسي المترنحة ،
إن الله - عَزَّ وَجلَّ – يأمرنا أن نعد العدة كلها لا لنحمي أنفسنا من اعتداء غيرنا علينا فحسب بل لنقيم الرهب في صدورهم وهم في عقر ديارهم وفي مخادعهم ،فلا تحدثهم نفوسهم أن يتآمروا علينا يوما .

[1]) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي - ص ٤٧ – ط: دار الكتب الإسلامية بالقاهرة -١٤٠٢

فباتت في نفوس النّاس أنها من العبادة ومن القربى والزلفى إلى الله - عزَّ وَجلَّ - وهذا من استحالة المنكر عندهم معروفا ،وهو من أشد الجهل أثرا، ومن أشد أمراض القلوب فتكا .

وانظر قوله (فَتَنْطَوِي عَلَيْهَا) وهذا الانطواء انطواء علم وفقه وتأدب والتزام ، فمن سمع ونقل ولم يعمل بما سمع لم يكن بالعابد

وانظر قوله (ثُمَّ تَحْمِلُهَا إلَى أخٍ مُسْلِمٍ تُعَلِّمُهُ إيَّاهَا) فإنَّ فيه الحمل اللساني والحمل السلوكي والتعليم بلسان الحال ولسان المقال معا، وقد قال الله - سُبْحانه وتَعَالَى – لرسوله - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبه وسلَّم - :(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة:٦٧)

فانظر قوله (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) فإنَّ معناه فإن لم يكن فعلك وسلوكك وأدبك ملتزما بما أنزل إليك فما بلغت رسالته ، أي يا أيُّها الرسولُ بلِّغْ بلسان مقالك وحالك ما أنزل إليك فإن لم تبلغ بلسان حالك (تفعل) فما بلغت رسالته ، فعلينا أن نأخذ أنفسنا وجوارحنا بكتاب الله - جَلَّ جَلالُهُ – وبسنة رسوله - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبه وسلَّم –

روى الدارمي في سننه بسنده عن المهاجر بن حبيب قال :قال رسولُ الله - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - : " قالَ اللهُ تعالى :

إنّى لستُ كلَّ كلامِ الحكيمِ أقبلُ ،ولكنّي أتقبل هَمَّهُ وهواهُ ، فإنْ كانَ هَمّهُ وهواه في طاعتِي جعلتُ صمتَه حمدًا لِي ووقارًا وإن لمْ يتكلّم)([1])

فوجب على أهل العلم والدعاة إلى الله - سُبْحانه وتَعَالَى – أن يجتهدوا في الجمع بين العلم والحكمة ،والعمل بهما خالصاً لله رب العالمين

[1]) سنن الدارمي : باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ج١ص٧٩-٨٠

وإنَّ مضرة ترك العالم العمل بما يُعلّم الناس أشدُّ إفسادًا للأمة من مفسدة الجاهل ؛ لأنَّ إفساد الجاهل يَعلمُ الناسُ أنّه من جاهل ، أمَّا ما يكونُ ممن ينتسب إلى العلم ، ولا سيما من يعتلي كرسي سلطة في دائرة أهل العلم فإنَّ العامة و الدَّهماء تقتدي به وتُعرض عن الحقِّ بسببه محتجين أنَّ فلانا من العلماء يفعل ذلك . وكنت يوما قدنهيتُ واحدًا من الشباب عن منكر ، فقال لي : أأنت أعلم من فلان - وكان فلانٌ هذا يجلس في كرسي من كراسي السلطة في الأزهر - إنّه يفعل ما تنهاني عنه أيكم أعلم ؟

كذلك يكون إفساد العالم الأمة بتركه العمل بما هو من سنة لرسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ، وفعله ما هو البدعة ، فلوأنَّا أيقنا أنَّا فد نفسد بلسان حالنا ما ندعو إليه بلسان مقالنا لكنَّا أحرص على ألا تنطق ألسنتنا بالعلم إذا لم نكن راغبين في أن تنطق به ألسنة حالنا فمن يعاند لسان حاله لسان مقاله كمن يهدم ما يبني ، ولا يفعلها إلا مأفون .

والله أسالُه ان يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ،وأن يرفع بالقرآن العظيم وبسنة رسوله الكريم - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ذكرنا بين عباده الصالحين في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا من أهل القرآن الكريم في الدارين ظاهرًا وباطنا .

و صلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه ورسُوله محمد وعلَى آله وصحبه وأمته كما يحب ويرضى في كل لمحة ونفسٍ عددَ خلْقِهِ ورِضَاءَ نفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ إنّه حَمِيدٌ مَجيدٌ ،وَالْحَمْدُ لِلهِ ربّ العَالَمين

وكتبه :مَحْمُود توفِيق مُحَمّد سَعد أُستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلِّيَّة اللغةِ العرَبيّة جامعة الأزهر الشّريف - شَبين الكُوم - المَنُوفيّة

القاهرة : حدائق الزيتون .

واجب المسلم
إزاء امتنان الله - سُبْحانَه وتَعَالَى
- ببعث عبده ورسوله

صَلَّى اللهّ عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم..

قارئ سورة (الجمعة) يرى أنَّ الله - سُبْحانه وتعالى – قد استفتحها بما لم يستفتح به سورة أخرى من القرآن الكريم على الرغم من انّه استفتح سبع سور بتسبيحه:

((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الحديد:١-٣)

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) (الحشر:٢)

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف:١- ٤)

((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الجمعة:١-٤)

((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ

علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ · هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ·خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ · يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (التغابن:١-٤)

((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى · الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى · وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ·وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى · فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الأعلى:١-٥)

... استفتحت سورة (الجمعة) من بعد التسبيح بما ينكرك بما اسفتحت به سورة الإسراء :

الاستفتاح بامتنان الله - سُبْحانه وتَعَالَى - :

في سورة الأسراء كان الامتنان على رسول الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - بما لم يكن لأحدٍ من الأنبياءِ :

نعمة الإسراء ليريه من آياته الكبرى إنَّه هو - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - السميع لمخطابة ربه - سُبْحانه وتعَالَى – له ، وهو - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - البصير لآيات ربه - عزَّ وَجلَّ – الكبرى ، ومَنْ دُونَه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ليس كمثله سمعا لخطاب ربّه - جلَّ جَلالُهُ – وليس كمثله بصرا لآيات ربه - عزَّ وَجلَّ - الكبرى ، فكان الجدير بتلك الكرامة .

وكان من عظيم البلاغة القرآنية أنْ كان البيان في شرف المعنى القرآني وذروته في سورة الإسراء قوله تعالى :(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) (الاسراء:١١١) فانظر كيف أنّه أمر نبيه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم– الذي اصطفاه واختاره وأمتن عليه بنعمة الإسراء أن يقول هو أولا وأمته من بعده :

الحمد لله، و جعل مبعث هذا الحمد ثلاثة أمور :

الأول : أنَّ الله - سُبْحانه وتَعَالَى – لم يتخذ ولدًا ، وإن كان محمدًا - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – الذي أسرى به وأنعم عليه بما لم ينعم بمثله على أحد من خلقه ، وأقامَه مقامًا ما أقامه أحدًا من خلقه

والثاني : الحمد لله على أنه لم يكن له شريك في الملك وإن كان محمدًا - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم –

والثالث : الحمد لله الذي لم يكن له وليٌ من الذُّلِّ وإن كان محمدًا - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم –

وغيره - سُبْحانه وتَعَالَى - من ملوك الدنيا يتخذون أولياءَ من الذُّلِّ والضَّعفِ والعَجزِ والجهلِ يَتَّخِذُونهم مستشارين لهم ، ولكنَّ الله - سُبْحانه وتَعَالَى - اتَّخذَ مِنَ العِزَّةِ أولياءَ جادَ عليهم بالقربِ الأقْدَسِ وسَيِّدُهم جميعًا سيدنا محمد - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – فما اتَّخذَ الله - سُبْحانه وتَعَالَى – أحدًا منْ أوليائه : أنبياءَ وصدِّيقين عن حاجة إليه، وافتقار لمناصرته ، فهو الأكبرُ الأعظمُ ، ولهذا جاء قولُه - سُبْحانه وتَعَالَى - : (وكبره تكبيرًا) عن أن يشاركه أحد وعن أن يفتقر إلى شيء وأن يعجز عن شيء .

وهذا كما ترى ناظر إلى المعنى الذي استفتحت به السورة :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١)

وتلك سنة بيانية عَلِيَّة من سنن القرآن الكريم أن يختم السورة بما هو من جنس ما بدأ به البيان فيها

***

وفي سورة الُجمعة التي هي - أيضًا- نعمةٌ لم تكن لأمَّةٍ خلا أمةِ الرسول - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم ([1]) كان الامتنان على العباد ببعثه - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ .

فانظر عطاء الامتنان الأول في سورة الإسراء ، وعطاء الامتنان الآخر في سورة الجمعة إنهما من مَعْدِنٍ واحد ، وكأنَّ سعي العباد إلى حسن شكر النعمة الثانية في الدنيا يحققُ لهم النصيبَ الأوفَى من الأولى في الآخرة : بما قَدَّمت أيديهم من الصالحات في الدنيا يرَوْنَ من آياته الامتنانية الكبرى :

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (يونس:٢٦)

وكما رأى رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – ربه - سُبْحانه وتَعَالَى – في المعراج وكلمه ربه - سُبْحانه وتَعَالَى – سيرى في الآخرة أهل الجمعة الشاكرين نعمة بعث النبي - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – إليهم ربهم - جلّ ثناؤه - وسيكلمهم كفاحا

روى الشيخان : في صحيحيهما بسنديهما " أَنَّ أُنَاساً فِى زَمَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

قَالَ النَّبِىُّ - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - « نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ » ؟

---

[1]) روى الشيخان بسندهما عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا اللَّهُ ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، الْيَهُودُ غَداً وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ » . (البخاري : كتاب الجمعة – باب (١) ومسلم كتاب الجمعة باب (٦)

. قَالُوا لاَ قَالَ : « وَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ضَوْءٌ لَيْس فِيهَا سَحَابٌ » ؟ قَالُوا لاَ . قَالَ النَّبِىُّ - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - : « مَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا .....الحديثَ » ([1]).

وروى الشيخان في صحيحيهما بسنديهما عَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم:

« مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ...الحديث " ([2])

وفي اسم سورة (الجمعة) إشارةٌ إلى وجوبِ الاجتماعِ على ما يَمتَنُّ الله - عَزَّ وَجلَّ – به على العبادِ مِن بَعثِهِ النَّبِيّ - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – وما يكونُ مِنْه من تلاوتِه عليهم آياتِ الله - جَلَّ جَلالُهُ - وتزكيتِهم وتعليمِهم الكتابَ والحِكْمَةَ .

وفي ذكر صفات الله - سُبْحانه وتعَالَى – (الملك القدوس العزيز الحكيم) على نحوٍ لم يأتِ في مُفتتحِ سُورةٍ أُخرَى ما يُفهمُ منه أنْ يكونَ المسلمُ المُحبُّ لنعمة الله - سُبْحانه وتعَالَى – التي ذكر امتنانه بها علينا من بعثه عبده ونبيه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - على ذِكْرٍ بالغٍ وفقهٍ واعٍ نافذٍ فيما تقتضِيه الصفاتُ الأربعُ ((الملك القدوس العزيز الحكيم)) فلا يكونُ في علاقتِه برسولِ الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – أو مَنْ دُونَهُ مِن العالمين ما يمسُّ قدسيّة هذه الصفات وكمال الإيمان بها فهو - سُبْحانه وتعَالَى - الملك الذي ليس لأحد من

---

[1]) صحيح البخاري : كتاب : التفسير – تفسير سورة النساء: الآية (إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة) وصحيح مسلم كتاب :الايمان) والنّص للبخاري

[2]) صحيح البخاري كتاب : التوحيد باب (٢٦)، و صحيح مسلم :كتاب : زكاة)

العالمين معه شيءٌ وإن كان أحبّ خلقِه إليه - سُبْحانه وتَعالَى - سيدنا محمدًا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم -

وهو القُدوسُ - جلَّ جَلالُهُ - الذي تنتفي عنه كلُّ صفاتِ النّقص وأولُها أن يكونَ له شريكٌ أو صاحبةٌ أو ولدٌ أو وليٌّ من الذُّلّ ، فليس في الكَوْنِ شيءٌ البتة إلاّ بإذْنِهِ ، وقد قال - عزَّ وَجلَّ - لرسوله صلّىالله عليْه وعلى آله وصحبه وسلم - :(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ)(آل عمران: من الآية١٢٨)

وقال لعباده كلِّهم أجمعين :(إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (يونس:٣)

وإذا ماكانَ بعثُ رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - نعمةً يمتُّن بها الله - سُبْحانه وتَعَالَى - علَى عبادِه :

(لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (آل عمران:١٦٤) فإنَّ حقّ كلّ نعمةٍ شكرُها – وإنَّ هذه الآية نعمةٌ ومن حقِّها وحقٍّ من مُدح بنزولها - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – أنْ نتَلَبَّثَ عندَها ، وأن نقف مليًا عندَ هذه الصفاتِ الأربع التي نصّ عليها الحق - سُبْحانه وتَعَالَى - :

١. مِنْ أَنْفُسِهِمْ
٢. يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
٣. وَيُزَكِّيهِمْ
٤. وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

فكلّ صفة منها تكشفُ لك وجهًا من وجوه الفضل والمنّة ، فهو - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – إذا ما كان من أنْفُسِنا فلنْ يكونَ منه إلاّ

ما هو صلاحٌ لها ، ولن يأتيَها بما هو غريبٌ عن فِطرتها ، وعمًا تأنسُ به حين تكونُ في طور استوائها ، وهو لن يستعلِي عليها ؛ لأنَّه من نفسها

فهذا فيه دِلالةٌ بيّنةٌ على أنَّ كلَّ ما يأتي به رسولُ الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – لن يكونَ إلا موافقًا للفطرة والطبعِ السويّ الذي طُبعت عليه النَّفس الإنسانية ، فإذا ما حَسِبَ أحدٌ أنَّ فيما جاء به الهديُ النبوي ما لا تستريحُ إليه نفسُه وتطمئنُ إليه ، فذلك آيةٌ على أنَّ في نفسِهِ من الدَّاءِ ما يجبُ عليه علاجها وشفاؤها منه

وفي قوله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) دلالة على أنّ في تلاوته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – علينا آياتِ ربِّنا من النعمةِ ما لا يُحيطُ بها أحدٌ ، فإنَّ في تلك التلاوة غذاءَ نفوسنا وقلوبنا وفيها شفاؤها من كلِّ داءٍ حسيٍّ ومعنويٍّ، وهذا يَهدي إلى فضيلةِ حسنِ الاستماعِ إلى آياتِ الله - سُبْحانه وتعَالَى – تُتلَى مِمَّنْ هوَ مِنْ أهلِ القرآنِ الكريمِ تعلُّمًا وتعلِيمًا وتأدُّبًا ودعوةً إذ هُمْ ورثةُ النبّي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – ومما يرثونه عنه علمُه وحكمتُه وبركتُه

وفي قوله : (وَيُزَكِّيهِمْ) دِلالةٌ على أنَّ ما يأتي به - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - من الهُدي إنَّما هو تزكيةٌ للنفس وتطهيرٌ لها

هي تزكية تطهيرٍ مما قد يَعْتريها في رحلةِ حياتِها وهي تزكيةُ نماءٍ لها وارتقاءٍ في مدارج الشَّرفِ . وهي تزكيةُ مدحٍ وثناءٍ عليها إذا ما أخذتْ بما هَدَى إليه .([1]). وَمَنْذا الَّذي لايفتقرُ إلى هذه منا؟

---

[1]) يقول سيد قطب في هذا : ((إنها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - تطهير للضمير والشعور ، وتطهير للعمل والسلوك ، وتطهير للحياة الزوجية ، وتطهير للحياة الاجتماعية . تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد ؛

ومنذا الذي يُزجي إلينا شيئا من ذلك فضلاً عن أنْ يُزجيه جميعَه ولا يكونُ لهُ علينا حقُّ إجْلالِه والقيامِ بحقِّ طاعتِه فيما به يأمرُ وعنه ينهَي ؟

وفي قوله (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) دَلالةٌ على أنّ هذا التعليمَ يستوجبُ أن تسبقَه تزكيةُ النفسِ وتطهيرُها من كلِّ ما لا يليقُ بها .

وبهذه التزكيةِ يتحققُ لتَعلمِ الكتابِ والحكمةِ أثرُه.

وكم هو جليلٌ جميلٌ ذلك الختامُ البليغُ (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)

فهذا آيةٌ على أنَّ ما جاء به النبيّ - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – إخراج لنا من هذا الضلالِ المبين المحيطِ بنا إحاطةَ الظرفِ بمظروفِه إلى النورِ المبين

(الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم:١)

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحديد:٩)

(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ٠ رَسُولاً

➢----- ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح ، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح . وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني . ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال . . إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع . تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه ، ويتعامل مع الملأ الأعلى ؛ ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوي الكريم .)(في ظلال القرآن ج ٦ ص٣٥٦٥- ط: دار الشروق)

يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) (الطلاق:١١)

***

ابتعاثُ النَّبي - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – فينا نعْماءُ عظيمة ومنّةٌ جليلةٌ تستوجبُ الشُّكْرانَ العظيمَ

(وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: من الآية٤٠)

(وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)(لقمان: من الآية١٢)

وغيرُ خَفِيٍّ أنَّ شكرَ كلّ نعمةٍ إنَّما هو حُسْنُ استخدامِها فيما يَرْضِي المنعِمُ بها - سُبْحانه وتعَالَى - علينا علَى هَدْيِ ما شَرَعَ : أمرًا ونهيا ، فلا نتجاوزُ ذلك قيد أنملةً من عندِ أنفسِنا .

ونعمةُ بعثِ النَّبيّ - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - فينا شكرُها إنَّما يكونُ بأمور منها :

= (الأمر الأول) حُسْنُ معرفةِ قدرِه - صَلَّى اللّه عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - عندَ ربّه - سُبْحانَه وتَعَالَى -

هذا لايَهديك إليه مثلُ ما يهديك إليه تدبُّرُ الآياتِ الكريمةِ التي جاء فيها الحديثُ عن رسولِ اللّه - صَلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - فالله - سُبْحانه وتَعَالَى – هو الأعلمُ بعبده ونبيه - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - :(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:١٤)

استقصاءُ تلك الآيات والاجتهاد في تدبرِها بعضُ ممَّا يجبُ علينا لرسولنا - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – وهو فوقَ ذلك فيه زادٌ عظيم

لقلوبنا فتمتلئُ محبةً له - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم - وإجلالا .

***

= (الأمرُ الثاني) حُسْنُ معرفةِ فضلِهِ - صَلَّى اللّه عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَّم - علينا .

وهذا تعرفة أيضًا بالتدبّرِ في الآيات الّتي بيّنتْ لنا حالَ الأممِ مِنْ قَبلِنا ، وحالَ العربِ من قبلِ الإسلامِ ، لتقفَ على فرقِ ما كانوا عليه وما تركنا - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - عليه من المَحَجَّةِ البيضاء ليلُها كنهارِها جلاءً لايَزيغُ عنها إلا هالكٌ .

ولعلّك إن تبصرت قليلا في ما خَتم الله - عزَّ وَجلَّ - به سورة (التوبة) إذْ يقول - جلَّ جَلالُهُ -

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨)

لبلغك منها ما يُقيمُ فيضًا من العرفان بعظيم فضل رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم - على أمَّتِهِ.

لتنظرْ في هذه النُّعوتِ الأربعةِ :

- مِنْ أَنْفُسِكُمْ
- عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
- حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
- بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

ولو أنّك شئتَ تفصيلَ كلِّ نعتٍ منه في ضوءِ ما كان منه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم - في حياتِه لأمَّتِه ما كاد سِفرٌ عظيمٌ يُطيقُ ذلك

التفصيلَ ، ولايسعُنا إلا لطيفُ إشارةٍ إلى نزيرٍ ممّا هو مكنونُ فيها من معاني الهدى :

جاءت هذه الآيةُ الكريمةُ في خاتمةِ سورةِ (التوبة) القائمةِ بفضْحِ حالِ المنافقين ، ومنْ بعدِ ما جاءت سورة (الأنفال) في شانِ تربيةِ الذين آمنوا وإرشادِهم إلَى العَلِيِّ مِنَ المنازل في طريقهم إلى مرضاةِ خالقِهم - جَلَّ جَلالُهُ –

جاءت هذه الآيةُ والتي بعدها في شأنِ تنكير العربِ خاصة والنّاسِ عامةً بمنَّةِ الله - سُبْحانه وتَعالَى - ببعثة عبدِه ونبيه ورسولِه محمدٍ - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - بنكرِ بعضٍ من عظيم نعوتِه وصفاتِه الجامعةِ ضُروبَ الكمالِ التي فَطَرَهُ الله - سُبْحانه وتَعالَى – عليها .

ومن أعظمِ تلك النعوتِ الجامعةِ ضروبَ الكمالِ أنّه من أنْفُسِهِمْ وَمِنْ انفَسِهِمْ وأشرَفهم حسبا ونفسًا (1)

1-) تذهبُ طائفةٌ من أهلِ العلم إلى أنَّ الآيةَ خطاب للعرب خاصة بدلالة قوله (من أنفسكم) وأنها تُناظر آية الجمعة :(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ)(الجمعة: من الآية٢) وهذا ناظرٌ في مبتدأ المبعثِ لا إلى عموم من بُعث إليهم ،ولذلك لم تقل الآيةُ هو الذي بعث إلى الأميين ،وإنما (في الأميين) قوله (في) يُشيرُ إلى مقامه الأول ومبدأ ابتعاثه ، فهو - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – بعث في الأميين : قومه العرب، وبعث إليهم وإلى الناس كافة بدلالة قوله تعالى :

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف:١٥٨)

فالعرب آمنت به أولا ، ثمَّ أمنت الناس بإيمان العرب به وبدعوتهم إلى الإسلام ، وهذا وجه من وجوه المعنى في قوله تعالى عن القرآن الكريم :

(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) (الزخرف:٤٤) -------<

وكونه من أنفسِهِم (أقربُ إلى الألفةِ وأسرعُ إلى فهمِ الُحجةِ ، وأبعدُ مِن المَحلِ واللجاجة) ([1])

فهذا فوق أنَّ فيه امتنانًا مباشرًا على العربِ ،وامتناناً تاليًا على الناس كافة فيه - أيضًا - (تعريضٌ بتحريضِهم على اتِّباعه وتركِ مناواتِه وأنَّ الأجدرَ بهم الافتخارُ به والالتفافُ حولَه) ([1])

➢---- فهو شرفٌ للعرب جاء بلسانهم ففهموه وأفهموا من ليس من لسان العرب ، فآمنوا بإيمان العرب ودعوتهم له

وجاء قوله (وسوف تسألون) إشارة إلى مسؤوليتهم عن تبليغ الدعوة إلى سائر العباد في كل مصر وعصر وبكل لسان وبكل منهاج ، فإذا قصرت العرب في ذلك كانوا غير ناصحين لله - عَزَّ وَجلَّ - ولكتابه الكريم ،وكانوا غير ناصحين لرسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - ولسنته ،وكانوا غير ناصحين لأئمة المسلمين وعامتهم .

وتذهب ثلة من العلماء إلى أنَّ الآية جاءت خطابًا عامًا للناس كافة ،وأن هذه الآية تمهيد لما جاء في أول سورة يونس :

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) (يونس:٢)

والأعلى أنّها خطاب لقومه خاصة وللناس عامة، فهو - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – من أنفس العرب أي من جنسهم العربي يتكلم بلسانهم ويعيش كمثلهم ،ثم إنَّ نسبه الشريف متشعب في أنساب العرب ، فما من قبيلة إلا وهي ذات علاقة و نسب قريب أو بعيد بنسب رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - ، فقد كان أجداده ذوي حرص بالغ على أن يصاهروا في القبائل الأخرى فتوثقت علائق الرحم والرحمة في كلّ القبائل العربية ، فهو خيارٌ من خيارٍ ،وهومن أنفُسِهِم ومِنْ أنفَسِهِمْ

وهو – أيضًا - من أنفُس الناس (بني آدم) ينتمي إلى أبيهم آدم وليس ملَكًا ولا جنًا، فيه من الناس ما فيهم . وهذا أدعى إلى حسن الاقتداء به والعمل على الأخذ بما يكان يهدي إليه .

[1]- نظم الدرر للبقاعي ج ٣ص ٤٠٧- ط: بيروت

ومن أعظمِ تلك النّعوتِ الجامعةِ ضُروبَ الكمالِ أنّه عزيزٌ عليه عَنَتُ قومِهِ والنّاسِ كافّةً أي يشقُّ عليه ويثقلُ ويُلْقِيه في الهَمِّ الذي لا يُطاقُ حتّى إنّه يكادُ يَبْخَعُ نفسَه من إعراضِ من يُعرضُ منهم عن الْهُدَى.

(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) (الكهف:٦)

(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (الشعراء:٣)

(فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)(فاطر: من الآية٨)

فهو - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – يشقُّ عليه أن يرى قومه في منزلٍ غير حميدٍ في علاقتهم بربِّهم لكُفرهم أو عصيانهم ، وفي علاقتهم بغيرهم من الأممِ الأخْرَى بضَعفهم وتخلفِهم ، وتَبَعِيَّتِهِم من هُم دونهم ، وفي علاقتِهم بغيرِهم من أصحابِ المِلَلِ والمذاهبِ الفاسدةِ بجهلِهم وتخلفِهم ودَهَشِهم بما في أيدِيهم من زائلِ متاعِ الحياةِ الدُّنيا وغفلتِهم عمّا في أيديهم من نعمةِ الله - جلَّ ثناؤُهُ -عليهم التي لا تنتهي : نعمة الإسلام و القرآن الكريم ، والتي بها يُمكنهم أن يجعلوا غيرَهم تبعًا لهم فَيَسُوقُونهم إلى الجنةِ بدلا من أن يَسُوقُهم غيرُهم إلى النّارِ .

حالُ الأمة – ولا سيَّما في عصورنا هذه – عظيمُ الشدة على رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - ، فقد أبلغ التحذير مما نحن فيه ،ولكن إن سمعت آذاننا وسجلت أسفارنا فإن قلوبنا لم تفقه ،وجوارحنا لم تخضع :

[1]- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١٠ ص : ٧٠-٧٣- بتصرف) (ط: تونس ١٩٨٤م)

روى مسلم بسنده عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

« أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ». قَالُوا وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « بَرَكَاتُ الأَرْضِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَأْتِى الْخَيْرُ بِالشَّرِّ قَالَ « لاَ يَأْتِى الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ لاَ يَأْتِى الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ لاَ يَأْتِى الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ إِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ فَإِنَّهَا تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ثُمَّ اجْتَرَّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِى حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ». ([1])

***

ومن أعظمِ تلك النُّعوتِ الجامعةِ ضُروبَ الكمالِ أنَّه - صلَّى اللهُ عليْهِ وَعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ – شديدُ الرَّغبةِ في إيمانِهم وهداهم وفلاحِهم ، فهو الحريصُ عليهم البليغُ في الاجتهادِ في تحقيقِ ما به عِزّهم وفلاحُهم ، ومن عظيمِ تحميلِه نفسَه فوق ما حمَّل كان القرآنُ الكريمُ يحثُّه على أن يرفقَ بنفسِه وأنَّه ليس عليه إلا البلاغُ، وما عليه إلا أن يُفوِّضَ أمرَه إلى ربه – جلّ ثناؤه –

(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(آل عمران: من الآية٢٠)

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة:١٢٩)

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النحل:٨٢)

---

[1] - صحيح مسلم : كتاب الزكاة باب (تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا) حديث رقم:(١٠٥٢/١٢٢)

(إِنْ تَحْرِصْ علَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (النحل:٣٧)

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف:١٠٣)

(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (فاطر:٨)

كلُّ هذه الآياتِ تُنادي بعظيمِ حِرصِ رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – على أمَّته : أمَّة الدعوة وأمَةِ الإجابةِ .وهذا ثناءٌ بالغٌ عليه من جهةٍ ،وتنبيه الأمّةِ إلى عظيمِ فضلِه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - عليها ،وجليل حقه عليها.

***

ومن أعظم تلك النعوتِ الجامعةِ ضروبَ الكمالِ أنَّه -صلّى اللهُ عليْهِ وَعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ بالمؤمنين رؤوف رحيم .

وهذامماً اختص به المؤمنون به ، هو للعالمين كافةرحمة :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء:١٠٧)

ولكنه بالمؤمنين خاصة رؤوف رحيم [1]

---

[1]) يذهب أبوإسحاق الزجاج إلى أن الرأفة أشد من الرحمة فالرأفة هي المنزلة الثانية يقال فلان رحيم فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف)(ص ٦٣ : تفسير أسماء الله الحسنة للزجاج- تحقيق : أحمد الدقاق ص ٦٢- ط: دمشق – دار المامون ١٤٠٦)

ويقول الطاهر بن عاشور في بيان معنى (رؤوف) ومعنى (رحيم) وما بينهما من علاقة : الرؤوف: الشديد الرأفة. والرحيم: الشديد الرحمة، لأنهما صيغتا مبالغة، والرأفة: رقة تنشأ عند حدوث ضر بالمرؤوف به. يقال: رؤوف رحيم. والرحمة: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عموم وخصوص مطلق، ولذلك جمع بينهما هنا ولوازمهما مختلفة. ... (تفسير التحرير والتنوير ج ١٠ ص ٧٣ ــ ط: تونـس/ ١٩٨٤م

وهذا ما أفاده تقديم (المتعلّق: بالمؤمنين)
وقد وصفه الله - سُبْحانه وتَعَالَى – الذي خلقه وهو به عليم بهاتين الصفتين اللتين وصف – - سُبْحانه وتَعَالَى – بهما نفسه : (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (النور:٢٠) ولله المثل الأعلى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى: من الآية ١١) فليست رأفة رسول الله - صَلّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ورحمته بالمؤمنين هي عين رأفة الله - سُبْحانه وتَعَالَى - ورحمته ، فإنَّ صفاتِ الله - عَزَّ وَجلَّ - ليس كمثلها صفاتُ أحدٍ من خلقـه وإن كان حبيبه وخليله سيدنا محمدًا - صَلّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم –

. رأفة رسول الله - صَلّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – بالمؤمنين من معانيها الإشفاق وإزالة الضرر ، وشديد العطف عليهم ولا سيما في حال ضرهم ، والرحمة بهم هي الإبلاغ في إيصال المنفعة إليهم ،ومن جليلِ رأفته ورحمته أنّه ما علم خيرًا إلا حثهم عليه وبيَّن لهم الطريق إليه وسهل السبيل للوصول إليه وجعل لهم من نفسِه قدوة في الآخذ به ، وكذلك ما علم شرًا إلا حذرهم منه ونفرهم ،وبين لهم سُبلَ التردي فيه ليتَّقوه ، وبيّن لهم سبيلَ النجاة منه والابتعادِ عنه .
ومن رأفته بالمؤمنين من أمته أنّه سيشفع لأهل الكبائر منهم يوم القيامة ،وهم الذين اقترفوا ما قد يثيرُ حفيظة القائدِ على متبوعه إذا ما تردى فيها ، ولكنه - صَلّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – رؤوف بالمؤمنين ، سيشفع لمن اقترف كبيرة من الكبائر

روى الترمزيُّ بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - :" شَفاعَتِي لأهلِ الكَبائِرِ مِنْ أُمتِي.)([1])

ولو أنك تابعت مواقفه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - التي كان فيها جليلَ الرأفةِ بمن أصابه ضُرٌّ معنوي أو حسّيّ أو ضعفٌ حسي أو معنوى من صحابته لتكاثرت عليك الصورُ والمثلُ العظيمة الجليلة.

•••

[1]) جامع الترمزي كتاب (صفة القيامة) باب: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حديث رقم : ٢٤٣٦،وفي الباب ما رواه أبوداود في كتاب (السنة) – باب (٣١) وما رواه ابن ماجة في كتاب (الزهد) باب (٣٧) وما رواه أحمد في مسنده (ج ٣ص٢١٣)
ما في هذا الحديث لا يحصر شفاعته في أهل الكبائر التي تعارف الناس على أنها سبعٌ ، فإن من أقام على صغيرة فقد أحالها بإقامته عليها كبيرة، فمن الذنوب ما هو كبيرة بذاته ، ومنها ما هو كبيرة بالإقامة عليها ولهذا عبر القرآن الكريم عن الصغائر باللمم فقال :
(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)(النجم: من الآية٣٢) أي إلا ما يلمون به إلمامة قليلة لايقيمون عليها .
والحديث هنا يشير إلى أن الشفاعة العظيمةإنما تكون لأهل الكبائر لأنهم بما اقترفوا تجب لهم النار، ويطول مكثهم فيها ، وأهل الصغائر لهم نصيب من شفاعته ـ صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم ـ
روى البخاري بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِى عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ » .(صحيح البخاري كتاب العلم باب ٣٣ ،وكتاب الرقاق باب ٥١)

= (الأمر الثالث) حسنُ معرفة افتقارِنا إلى بعثته - صلّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم -

فهو قد أنزلَ الله - سبْحانه وتعالَى – عليه الكتابَ الحكيمَ ؛ ليخرجَنا من الظلماتِ إلى النور: (الر كِتابٌ أَنْزلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (ابراهيم:١)

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحديد:٩)

(....الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) (الطلاق:١٠-١١)

وهذا الإخراجُ من ظلمات الجهلِ والكفرِ والعِصيان والتخلفِ والمذلّةِ إلى نور العلمِ والإيمانِ والطاعةِ والعزّةِ لن يتحققَ لنا إلا بحسنِ الفقهِ لِما جاء به - صلّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – من الوحي ، فيتلُوه علينا ويزكّينا ويعلّمنا الكتابَ والحكمةَ

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (البقرة:١٥١)

(رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) (البينة:٢- ٣)

ولهذا حثَّ النبيّ - صلّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – على تعلُّمِ القرآنِ الكريمِ وتعليمِه

روى البخاري بسنده عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِىِّ عَنْ عُثْمَانَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِى إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ ، قَالَ وَذَاكَ الَّذِى أَقْعَدَنِى مَقْعَدِى هَذَا . ([1])

وفي رواية له في الباب نفسه" عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِىِّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »

وتعلمه وتعليمه ليس بالمقصور على حروفه وكلمه وإتقان أداء ذلك ، بل هو يجمع إلى ذلك تعلم حدوده ومعاني الهدى فيه ، فالقرآن الكريم وإن كانت قراءته من حيثُ هي قراءة يُمنح فاعلها ثوابًا فإنَّ القرآن الكريم ما نزل لمجرد تلاوة وترتيل حروفه بل لإقامة حدوده ومعانيه أمرًا ونهيًا ، فمن اكتفى بإتقان أداء حروفه ،وأعرض عن حدوده وأوامره ونواهيه فهو المحروم.

وتعلم حروفه وتعليمه أول العمل وليس منتهاه وغايته

بهذا الفقه يتحقق لنا شيء من إخراجنا من الظلمات إلى النور، وبترك هذا الفقه نكون أهلا لأن نوصم بجريرة هجر القرآن الكريم تلك الجريرة التي يشكو النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - أمته إلى ربِّه - سُبْحانه وتَعَالَى - منها :

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان:٣٠)

فليس هجره بالمحصور في ترك تلاوته أو ترك تعلمه بل هجره يتمثل في كثير: منها هجرُ التَّفقه بمعانيه والتأدب بها والاحتكامِ إلى تشريعه .

وقد جهلت كثير من الأنظمة التي تحكم المسلمين أو علمت ، فرغبت في التزويرعلى شعوبها ، فأنشأت في وسائل إعلامها إذاعات توالى تلاوات

[1]) صحيح البخاري : كتاب : فضائل القرآن –باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه

القرآن الكريم صباح مساء ، وهي في الوقت نفسه تصرُّ إصرارًا بالغًا على ألا تقيم حكمها لهم بما شرع الله - سُبْحانه وتعَالَى – لهم أمرًا ونهيا ، فاتخذت لها مجالسَ تُشرِّعُ لهم ما لايؤسِّسُ على شرع الله - سُبْحانه وتعَالَى – وقد قضى الله - عزَّ وَجلَّ - في كتابه الكريم مخاطبا رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - :

(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء:٦٥)

(وقال له في السورة نفسها :

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً) (النساء:١٠٥)

و قال لأهل الكتاب :(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (المائدة:٦٨)

وهذا في الوقت نفسه خطابٌ لأهل القرآن الكريم : إنهم ليسوا على شيءٍ حتَّى يقيموا القرآن الكريم في شؤون حياتهم ، فإن لم يفعلوا فلن يزيدهم القرآن الكريم إلا طغيانا وكفرا

وتدبّر قوله (حتّى تقيموا) فإنّه أمرهم بأن يجعلوا التوراة والإنجيل قائمين في جميع حركة حياتهم ، وكذلك نحن مأمورون بأن نتخذ موقفَ إقامةِ القرآن الكريم في حركة حياتنا..والله - سُبْحانه وتعَالَى – قد وصم الذين حملوا التوراة فاكتفوا بحفظ حروفها وكلماتها ،ولم يحملوا التأدب بأدبها والالتزام بهديها بأنهم كالحمار يحمل أسفارا:(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة:٥) ([1])
وقد جاءت هذه الآيةُ عقب آيات الامتنانِ ببعث رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فدل نلك دلالة جلية ظاهرة على وجوبِ النَّفْرَةِ مَّما وَصَمَ بِه أولئك الذين حـُمِّلُوا التوراةَ ثمَّ لم يحملوا التخلق بهديها .
فكل منْ ادّعَى الإيمانَ بالقرآن الكريم واتخذ حفظ حروفه عملا ، وأعرض عن الالتزامِ بحدودِه أمرًا ونهيا هو ممّن وَصَمَه القرآن الكريم بهذا التشبيه التمثيلي الجليل الذي ينفر منه كل عاقل .
ليست الغاية القُصوى والمقصد الأجل من إنزال القرآن الكريم على رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – أن يستغني العباد بالتغني بآياته في مساجدِهم ومحافلِ أفراحهم وأتراحهم ومنتديات أحزابهم السياسية مثلما يفعل أهل البغي والجهالة بل أنزله ليُحكمَ به بين الناس وليقيم الناس هديه سلطانا على حركتهم في هذه الحياة ، فمن ترك الاحتكام إليه فهو هاجر له وإن عكَفَ على تعلُّم حروفه ومناهج ترتيله والتغنّي به صباحَ مساءَ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النور: من الآية٦٣)
وكذلك لا يتحقق الإخراج من الظلمات إلى النور إلا بحسن الفقه لما جاءت به السنة النبوية : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: من الآية٤٤)
(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل:٦٤)

---

[1]) قوله :(حُمِّلوا) أي أمروا بحملها تلاوة وتعلما وتعليما وتأدبا ودعوة، وقوله لم يحملوها أي لم يعملوا بما فيها ،وإن حفظوا حروفها وكلمها وجملها ، فنفى عنهم الحمل لما تركوا الأخذ بهديها

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل: من الآية٨٩)

ولهذا حثَّ النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - على حفظ سنته وحسن فقهها :

روى بعض أصحاب السنن والدارمي واحمد أن " النبي صلى الله عليه وسلم قال : " نضّرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعَاها وحفظها وبلّغَها فرُبَّ حامِل فِقهٍ إلى مَنْ هو أفقه مِنه .

ثلاثٌ لا يغلُّ عليهن قلب مسلم :

- إخلاص العمل لله
- ومناصحة أئمة المسلمين
- ولزوم جماعتهم

فإن الدعوة تحيط من ورائهم " ([1]) .

ولايكفي في هذا- أيضًا – العنايةُ برواية السنة النّبويّةِ ونشرها بل لابد من الالتزام بها والتخلق بهديها ومحبة أهلها والتقرّب إليهم وتكثير سوادهم وهجر الساخرين بهم ، ولا سيما في وسائل الإعلام والفنّ :

روى الترمزي بسنده عن العرباض بن سارية قال :

وعظنا رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - يوما بعد صلاة الغداة موعظة َبليغةً ذرَفَت منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقال رجل : إن هذه موعظة مودّعٍ فماذا تعهدُ إلينا يا رسول الله ؟

---

[1]) رواه أبوداد : كتاب العلم الباب ١٠، الترمزي كتاب العلم ـ الباب (٧)، وابن ماجة في المقدمة :الباب (١٨) ،وفي المناسك الباب (٨٦) ومسند أحمد : ج١ص ٣٧، ج٣ص ٢٢٥، ج٤ص ٨٠، ٨٣، ج ٥ ص ١٨٣، والدارمي : في المقدمة الباب (٢٤)

قال : أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعة وإنْ عبدٌ حبشيٌّ ، فإنّه من يعشْ منكم ير اختلافا كثيرا .
وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضَلالةٌ ، فَمَنْ أدرَكَ ذلك مِنكُم فَعلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّين عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ)
(قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح)
وروى أيضا في الباب نفسه بسنده " أن النبي - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم - قال لبلال بن الحرث :" اعْـلَمْ "
قال: ما أعلَمُ يا رسول الله ؟
قال :اعْـلَمْ يا بلال ؟ قال : ما أعلمُ يا رسول الله؟
قال :" أنّه مَنْ أحيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَدْ أُميتَتْ بَعْدِي ،فإنَّ لَهُ مِنَ الأجرِ مثلُ مَنْ عمل بها من غير أن ينقصَ من أجورهم شيئا ومن ابتدعَ بدعةَ ضلالةٍ لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثلُ آثامِ من عمل بها لا ينقصُ ذلك من أوزار الناس شيئا)(قال أبو عيسى هذا حديث حسن) ([1])
وهذا يقيم في نفوسنا رهبة من الإقدام على أمر متعلق بديننا عقيدة وشريعة ليس له في كتاب الله - سُبْحانه وتَعَالَى – وفي سنة رسوله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم – أصل يؤخذ به أو يقاس عليه قياسًا صحيحًا يتولاه أهل العلم الـمُحَقِّقُون ، لا أدعياء العلم فقهًا وتأدبا ، ولا المسؤولون على وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمنظورة ، فأمثال هؤلاء لا يؤخذ عنهم العلم بكتاب الله - سُبْحانه وتَعَالَى – وبسنة رسول الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَّم ، ومن أخذ عن مثلهم فإنما خان نفسه وألقى بها في ظلمات الجهالة والضلالة .

[1] - الحديثان في جامع الترمزي – كتاب العلم باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة حديث رقم (٢٦٧٦)ورقم(٢٦٧٧)

و حسن فقه سنة رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - يحجز الأمة عن التردّي في ظلمات الابتداع في الدين

و قد بالغ النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – في النّهي والتّنفير من التلبس بِشَيْءٍ من البدعة ، من أنها طريق المهلكة .

روى مسلم بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ». وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ». ثُمَّ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَىَّ وَعَلَىَّ »[1]

فمحبة الله - سُبْحانَه وتَعَالَى – ومحبة رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – توجب الاستمساك بسنته والوقوف عندها والفرار من الابتداع : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١)

فمن لم يتبع هديه وسنته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - فليس بمحب لله- عزَّ وَجلَّ – ولا لرسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – وإن تصايح صباح مساء في المساجد والمحافل والمنتديات بدعوى محبته رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – وآل بيته عليهم الرضوان ، فإنَّ لسان الحال أصدقُ وأبلغُ من لسانِ المقال .

[1]) صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والجمعة حديث رقم (٤٣/٨٦٧)

وليست محبته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - والقيام ببعض حقه بأن نأتى بما تهوى أنفسنا وما فيه حظوظها من مأكل ومشرب ومَرْتَعٍ ، على نحو ما نراه من احتفال أهل الزيغ والضلالة فيما يسمونه بالمواسم والأعياد الإسلامية ومنها ذكرى ميلاده - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - : اتخذوا كل ذلك مجمعًا لشهوات نفوسهم مأكلا ومشربا ومرتعا ، فتحرروا من التأدب بأدب سنته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - واختلط الذكور بالإناث ، وتواعد الفتيان على اللقيا ، وتخابث أهل الهوى وأهل الفسوق والعصيان بدعوى الاحتفالِ وإحياء الأعياد الإسلامية على مسمع ومرأى من جحافل قوات الأمن ، دون أن يحركوا ساكنا ،بل ولا يتمعر وجه واحدٍ منهم لما يرى من المنكر في تلك المحافل ،ولو صدقوا في دعوى انهم القائمون على أمن العبادوالبلاد لكانوا أحرص الناس على منع أولئك المتعاونين على الإثموالعدوان على أحكام الكتاب والسنة ، لأنهم بما يقترفون يضعون العباد والبلاد في سياق غَضب الله - عَزَّ وَجلَّ – عليهم وعلى من يرضى بمنكرهم ، ففيالأخذ على أيديهم وقاية للسفينة (الأمة : العباد والبلاد ،والحاكم ورعيته) من الغرق ،وتقصير المسؤولين عن أمن العباد والبلاد في هذا هو إخلال عظيم بعملهم وما هم مكلفون به ،وعلي الأمة أن تسائلهم وتحاسبهم لأنهم لابد سيعرضون كرسي السلطان وكراسي بطانته وحاشيته للزوال بغضب الله - سُبْحانه وتعَالَى - .

روى البخاري بسنده عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا

لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا . فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً »(1) .

الأمر إذن لا يتعلق بأمن العامة والدهماء فحسب ، ولو كان الأمر كذلك لهان الخطب ، ولكنَّه في المقام الأول متعلق بأمن السلطان العام وبطانته ، فهلا أحسَّ المسؤولون عن أمنه واستقرارِ ملكه بتقصيرهم : إنهم يتركون أخطرَ ثغرة يمكنُ أن يُؤتى منها كبيرهم : ثغرة مبارزة الله - سُبْحانه وتَعَالَى - بالآثام والفسوق والعصيان والرضا عن ذلك أو تركه وجعله من الحرية الشخصية التي يكفلها الدستور وإن نهى عنها القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكأنَّ الدستور الذي صنعوه لأنفسهم مقدم أمره على القرآن الكريم الذي أنزله الله - سُبْحانه وتَعَالَى - وعلى السنة النبوية التي قالها الرسول - صلَّى الله عليْه وعلَى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ذلك ما يقوله لسان الحال ، فإنا قد رأينا قوانين وضعية أبطلت وخضع الجميع لإبطالها لـمَّا قالت المحكمة الدستورية إنَّ في هذه القوانين مخالفةً دستورية ، أمَّا أن يقول العلماءُ المحققون أجمعون إن في قانونٍ ما مخالفةً صريحة قطعية للقرآن الكريم والسنة النبوية فإن الأمر لا يُهمل فحسب بل يتهم العلماء بأنهم أصحاب محاكم التفتيش وأنهم دعاة للحكومة الدينية ، وإنهم يخرجون من عصر الظلمات الذي حل على النَّاس منذ خمسة عشر قرنا مضت وقد قالها كبير من أكابر مثقفيهم بين يدي السلطان العام في ملتقي معرض الكتاب الدولى من سنوات ولم يتمعر وجه أحد من النخبة المثقفة لهذه الكلمة الفاجرة التي تصف نور الإسلام بأنَّه عصر الظلمات

---

1) صحيح البخاري كتاب الشركة – باب : هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

(يقول الله - عزَّ وَجلَّ - محذرًا ومتوعدًا لهذه الأمة المحمديّة أن تقتدي بمن يحدثنا عنهم :

((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْس مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة:٧٨- ٧٩)

ويقول الرسولُ - صَلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فيما يرويه الترمزي بسنده عن عبد اللّه بن مسعود - رَضِيَ اللّهُ عَنْه - قال :قال رسول اللّه - صَلّى اللّه عليْه وعَلى آلِه وَصَحْبِه وسَلَم - :

" لَمَّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نَهَتْهُم علماؤهم فلم يَنْتَهُوا . فجالسوهم في مجالسهم . وَوَاكَلُوهم . وشاربوهم : فضرب اللّه قلوب بعضهم ببعض ولعنهم " على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " قال فجلس رسول اللّه - صَلّى اللّه عليْه وعَلى آلِه وَصَحْبِه وسَلَم - وكان متكئا فقال :

" لا والذي نفسي بيده حتى تأطُرُوهُمْ على الحق أطرًا)) ([1])

فإذا كان هذا جزاء من نهى ، ولكنّه ما اتخذ موقف القطيعة من أهل الفسوق والعصيان فكيف يكون حال من لم ينه ولم يتغير وجهه لمنكر بل صاحب وأيّدَ ، بل كرّم ومجّد ؟ أليس هذا أشدّ استحقاقًا للعن ؟؟

بلى وربّي

إنَّ على أولئك أن يعلموا أنَّ الذي يأتهم من فوقهم بجنده التي لا تقهر من ثغرة الفسوق والعصيان إنّما هو الله - سُبْحانه وتعَالَى ، ولا منجاة لهم إلا

[1]) جامع الترمزي : كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة الحديث رقم (٣٠٤٧)

بترك الفسوق والعصيان والتمسك بالكتاب والسنة والأخذ على أيدي أهل العناد وأهل البدعة والضلالة . إننا نحن الدّعاة إلى فريضة إنكار المنكر وتغييره أحرص على كرسي السلطان العام من بطانة السوء التي تصور له الدّاعين إلى الله - سُبْحانه وتعَالَى - بالحكمة والموعظة الحسنة في صورة المناوئين والحاسدين والمرهبين ...إلخ قائمة النعوت التي تُقطع بسببها الرقاب ، ويشرد الأولاد والأحفاد ، وتغلق الأبواب في وجوه الأصحاب ..

***

- (الأمر الرابع) من حسن شكر نعمة بعثته - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - فينا أن نجاهد في تبليغ رسالته إلى الناس كافة في كل عصر ومصر بلسان حالنا أولا ولسان مقالنا ثانيا ، فيكون كلٌّ واحد منّا أجمعين ناطقةً حركتُه في هذه الحياة بالهدي الذي بعث به - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - قرآنا وسنة ،

فإنَّ سبيل الشكر على هذه النعمة الجليلة بالدعوة إلى الله - سُبْحانه وتعَالَى – له لسانان

= الأول: لسان الحال وهذا الدعوة به إلى الله - عَزَّ وَجلَّ - فريضة عامة على المسلمين كافة في كل عصر ومصر ، ، وفي كل منزلمن منازل الحياة حلوا ،وكل عمل احترفوا .

وهذا اللسان : لسان الحال الداعي إلى هدي النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – هو أبلغ الألسنة ،وهو اللسان الذي يفهمه كل الناس ، وهو الأنفذ والأبقى والأقوى .

ومن عجبٍ أنه على قدر منزلته العالية قد تباعد كثير من العامة بَلْ الخاصة في القيام بحقه وإتقانه وتوطين النفس على حسن توظيفه

= والثاني : لسان المقال الداعي إلى هدي النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – ببيان معاني الهدى في الكتاب والسنة ،
وهذا اللسان الدعوةُ به مع لسان الحال فريضةٌ على اهل العلم المالكين أصول الفهم عن الله - عزَّ وَجلَّ – وعن رسولِه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وهم أولئك العلماء ذوو الاختصاص بعلوم الإسلام الذين تلقوا أصول تحرير الفقه والفهم عن الأئمة ، وشهدوا لهم بأنهم يملكون أدوات الفقه والبيان ويملكون المنهج الإسلامي القويم في الدعوة إلى الله سُبْحانه وتَعَالَى - وأجازوا لهم تبليغ ما علموا إلى النّاس
وهذا اللسان : لسان المقال في الدعوة على الرغم من أنّه شديدُ مؤنةِ إتقانِه ، والأئمةُ فيه قليلٌ بالنسبة إلىالقادرين على شكر النعمة بلسان الحال إلا أنّا نجد غير القادرين على الوفاء ببعض حقه يتسارعون إلى اتخاذه أداة دعوة مزاحمين أهل الاختصاص بل وربما المانعينهم من أن يجدوا سبيلا وسيعا ونافذا إلى القيام بذلك .
وهذا التسارع إلى ما لا يتقن المتسارعُ صورة من صور كفره بنعمة ابتعاث رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فينا .، لأنّه بذلك ينفر الناس من هدي رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فهو لايحسن عرض حقائقه عرضًايقربه ويمكنه في القلوب والعقول .
لو أنّ كل عالم قرأ كل شيء ، وخاطب الناس فيما هو الإمام فيه ، وكان من اهل اختصاص النظر والمباحثة فيه ، وكان الخبير بدقائقه ولطائفه وأَبْعادِ الحقِّ ومذاهبه فيه لكان ذلك من أعظم الشكر لنعمة بعثة رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فينا

فهلاً عاد كلٌ ذي اختصاص إليه : الطبيب إلى مشفاه والمهندس إلى مصنعه والكيميائي إلى مختبره والزراعي إلى حقل تجاربه الزراعية ، وبالغ كلٌ في إتقان علمه وعمله الذي اختص به ودعا من حوله فيه من أقرانه وتلاميذه وأصحابه بلسان حاله إلى الله - سُبْحانه وتعَالَى – وحثّهم على حضورِ مجالسِ الفقهاء والدعاةِ ذوي الاختصاص ، وترك أمرَ الفتوى والدعوة على المنابر وفِي المحافل و وسائل الإعلامِ على تنوعها لأهل الاختصاص من الفقهاء والدعاة .

وإذا ما كان هذا فريضة على الخاصة ففريضةٌ على العامة أن لا يعمدَ أحدهم إلى أخذ العلم بمعاني الهدى في القرآن الكريم والسنة إلا من أهل العلم ذوي الاختصاص بذلك مثلما لايأخذون دواء أجسادهم المريضة إلا من طبيب ذي اختصاص مشهود له ، ولا يسعون إلى إصلاح سيارتهم وأجهزتهم إلا إلى مهندس ذي اختصاص كذلك عليهم أن لا يأخذوا الفتوى في باب الحلال والحرام إلا من علماء كليات الشريعة المختصين بعلم الفقه وأصوله وحدهم .

أمّا غيرهم من علماء علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والبيان العربي ، فهم أهلٌ لأن يسمعَ جوابُهم عن سؤال انتهى في أمره علماء الاجتهادِ من الفقهاء والأصوليين ، فيكونون بهذا حاملين العلم عنهم وليسوا من أهل الاجتهاد في ما لم ينته أهل الفقه وأصوله في استنباط الأحكام المؤيدة بالدليل .

وهم أيضًا أهل لأن يُسْمَع تحقيقهم فيما كان من أمور الوعظ وتقريب المعاني إلى قلوب الناس وعقولهم وتحْبيبهم في طاعة الله - سُبْحانه وتعَالَى – وفي الانتصار لدينهم والاعتزاز بإسلامهم ،وانشراح صدورهم بما

يأتيهم من الترغيب في الجنة عن الله - عَزَّ وَجلَّ – وعن رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم –

***

= (الأمر الخامس) شكر نعمة الله - جَلَّ جَلالُهُ - علينا ببعث رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فِينا يوجب علينا أن نحسن إلى الأدب مع السنة النبوية المُطهرة فنلك أصلٌ من أصولِ شكرٍ تلك النعمة الجليلة مثلما هو أصلٌ من أصول النصيحة التي هي الدين كما قال النبي – صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم : جاء في صحيح " مسلم" بسنده عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » ([1])...واهلُ العلم ببيان السُّنة على أنَّ النصيحة لرسول الله – صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – تتمثل في أمور منها :

= كمال الإيمان به عبدًا ، نبيا ، رسولا يتَّبعُ ما يوحى إليه ولا يتقوّلُ على ربّه - سُبْحانَه وتَعَالَى – حرفًا .

= وفي كمال محبته ، وهي لا تتحقق إلا في طاعته في كلَّ ما جاء به - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - من الأمر والنهي

= وفي كمال نصرة سنته بتعلُمها وتعليمها وتحقيقها وتحريرها مما قد يدسُّه المفترون فيها .

= وفي كمال حسن فهمها وتفهيما ونشرها والإمساك عن أن يزيد المرء عليها من عند نفسه أو يقول في معناها من ذات نفسه افتراءً على معانيها ومغازيها .

وفي كمال الاعتصام من أن يقرن بها بدعة ، ولو من جنسها لم يصحَّ أخذ النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم– أو أحدٌ من أصحابه بها ،

---

[1]) صحيح مسلم كتاب : الإيمان باب ٢٢ حديث : ٩٥

وإن كان منزعُ ذلك الابتداع ومبعثه تلك الزيادة البدعية محبته - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - فليس أجهل من أن يعمد المُحِبُ إلى الاتيان بمايلزمه منمّة من يحب ، فإنّ من زاد في عبادة أو أيّ أمرٍ يتعلق بالإسلام عقيدة أو شريعة على ما جاء به النبي - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – في عددٍ أو هيئة ... ولو من جنس ما جاءت به السنة ، ونادى في الناس أنَّ هذا بدعة حسنة ، فافعلوا إنَّما يقول للنَّاس : إنَّ النَّبي - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – قد قصَّر فَلَمْ يُقَدِّم لكم الهدي في كماله الذي لا يمكن أن يزاد عليه في جوهره أو عرضه أو في أي أمر من أموره . ([1])

***

هذا بعض ما يجب على المسلم إزاء الامتنان بنعمة بعث النبي - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – علينا من ضروب شكر الله - سُبْحانه وتَعَالَى - على أجل نعمه علينا : نعمة ابتعاثه سيّد خلقِه وخاتمَ رسلِه

---

[1]) الله - سُبْحانَه وتَعَالى – يقول في آخر ما أنزل من القرآن الكريم : (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً)(المائدة: من الآية٣) وكمال الدين يلزمه ألاّ يضيف إليه أحد ، فمن اتى بما لم يأت به الرسول - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – فقد افترى على الله كذبا(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (الأنعام:٩٣) فكل مبتدع هو مفتر ، وهو في الوقت نفسه شاتمٌ رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبه وسلَم – متهمه بالتقصير في النصح لأمته ،وتلك كبيرة إن فقهها المبتدع أقلع ، ولا ما حدثته بها نفسه إن كان في قلبه ذرة من ايمان .

سيدنا محمد - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – وإذا ما كان ابتعاثه فينا نعمةً جليلة فإن ميلاده - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – أيضًا نعمة جليلة تستوجب الشكر ، ولكنه شكر من جنس طاعة الله - سبْحانه وتعالى – وطاعة رسوله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - و ليس من جنس الابتداع في الأمر الذي بعث به ، فإنه - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم - قد قرر أن من أحدث في هذا الأمر ما ليس منه فهو عليه ردٌّ :

روى الشيخان بسنديهما عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » وفي رواية لمسلم:

(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ) ([1])

فهذا أصلٌ عظيم تقاس عليه الأعمال كلها فيما يتعلق بأمر الدين، وفي قوله (فهو رد) إبلاغ في وصفه بالبطلان والرد على صاحبه ؛ لأنه وصف هذا العمل بالمصدر (ردّ) والوصف بالمصدر مفيد كمال اتصاف الموصوف بالصفة كقولنا :(عمر عدل)

وكفى بهذا بطلانًا لكلِّ ما هو مستحدث في الدين ، فما أحدثه المتأخرون في شأن الاحتفال بمولده - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – على النحو القائم في ديارنا أهو من جنس شكر النعمة ، ومن جنس الطاعة التي كان يشكر بها رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – نعم الله - سبْحانه وتعالى – عليه ؟ !!

---

[1]) صحيح البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور ،وصحيح مسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة حديث رقم (١٧-١٨ /١٧١٨)

ذلك سؤالٌ لا بدَّ أن يطرحه كلُّ مسلم على نفسه وأن يخلصَ النّصحَ لها في طلب الجواب عن ذلك السؤال .

قد ثبت أنّه - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلّم – كان يصوم يوم الاثنين من كلّ أسبوع إلا ما وقع يوم عيد فطر أو أضحى ، وهذا معلوم للعامة ، فكيف بالخاصّة من الأمة ؟!!

روى مسلم بسنده عن أَبِى قَتَادَةَ الأَنْصَارِىِّ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ....سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاِثْنَيْنِ قَالَ « ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَىَّ فِيهِ ». ([1])

يفهم من جوابه هذا أنَّ علّة اختصاص هذااليوم بالصيام من بين سائر أيام الأسبوع أنّه اليوم الذي وقع فيه أمران جليلان :

يوم ميلاده ويوم بعثته ، فكان صيامه هو منهاج شكره الله - سُبْحانه وتَعَالَى - على تلك النعمة ، وهو لم يخصَّ شكرها بصيامِ يوم واحدٍ في العام أو الشهر بل جعل ذلك في كل أسبوع ،

وهو لم يجعل شكر هذه النعمة : نعمة الميلاد والمبعث صلاة أو اعتمارًا ، أو صدقة أو إطعامًا أو احتفالا يجمع فيه أصحابه عليهم الرضوان كلا بل جعل شكرها صيام اليوم الذي ولد فيه وبعث فيه ،وقد قدر الله - عَزَّ وَجلَّ - أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى فيه .

ولعلّ وجه اختصاص تلك العبادة أن الصيام من العبادات التي لا يعبد بها غير الله - سُبْحانه وتَعَالَى – فلا يُعرف أنَّ أحدًا شكر أحدًا غير الله - سُبْحانه وتَعَالَى – بأن صام له ، فقد يسجدُ المرءُ لآخر شكرا وتحية ، وقد يطعم له الفقراء ، وقد يحج إليه :أي يقصد زيارته كما تفعل الدهماء مع

---

[1]) صحيح مسلم كتاب الصيام باب استحباب ثلاثة أيام ...حديث رقم ١٩٧ /١١٦٢)

مقابر من يحسبونهم أولياء الله - سُبْحانه وتعَالَى - ، أمّا أن يصومَ أحدٌ تقربًا إلى غيرِ الله - عَزَّ وَجلَّ - فهذا لا يُعرفُ .

روى الشيخان عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى صَائِمٌ . مَرَّتَيْنِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِى ، الصِّيَامُ لِى ، وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا » .([1])

فالهدي القويم والصراط المستقيم والسنة الصحيحة في شأن الاحتفال بميلاد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - أن يصوم المسلم يوم الاثنين من كل أسبوع اقتداء برسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم، لكنّ الذين استعبدتهم بطونهم واستولت عليهم أهواءُ نفوسهم الأمارة بالسوء يرغبون عن ذلك ؛ لأن فيه حرمانًا لهم من المآكل والتعابث الذي يقع من اختلاط الذكور بالإناث .

***

وهنا يقوم سؤالٌ آخر على كل مسلم أن يستوثق من الجواب عنه بنفسه : متى نشا الاحتفال بميلاد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - على النحو الذي هو قائم اليوم في ديارنا ؟!

أوكان ثمَّ ما يشبهه في زمن النبوة أو الخلفاء الراشدين أو الصحابة أجمعين أو التابعين ؟

إنْ فَتَّشْتَ مخلصًا مستقصيًا أسفار العلم والتاريخ والسِّيَرِ في القرون الثلاثة الأولى فلن تجد البتة خبرًا ولو كان ضعيفا في سنده خفيًا في دلالته

---

[1]) صحيح البخاري كتاب الصيام باب (٢) ،وصحيح مسلم كتاب الصيام – باب (فضل الصيام) حديث رقم ٠ ١١٥١/١٦١

يمكن أن يفهم منه أن نلك قد كان منه شيء أو مما هو بسبيله في تلك القرون التي هي خير القرون ، كما جاء في السنة النبوية

روى البخاري ومسلم بسندهما عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « خَيْرُكُمْ قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . قَالَ عِمْرَانُ لاَ أَدْرِى أَذَكَرَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً . قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم « إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَشْهَدُونَ ، وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ » . [1]

فإذا ما كانت القرون الثلاثة الأولى وهي خير القرون لم يُشكرِ الله - عَزَّ وَجلَّ - على نعمة ميلاد رسول الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - بمثل ما هو عليه حال الاحتفال في ديارنا وأيامنا ، فإنَّ هذاالاحتفال بهذه الصورة لن يكون من السنة النبوية في شيءٍ ، ولو كان فيه أثارة من خير وقليل من نفع لما تركه الرسول - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – أو الصحابة أو التابعون ، إذْ كيف يتظاهر أولئك الأخيارُ أجمعون على تركه ، وفيه شيءٌ ما من الخير والمنفعة المادية أو المعنوية ؟

ألا يسعنا ما وسع رسول الله - صلَّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وصحابته عليهم الرضوان وتابعيهم ؟!!!

إنّ الاحتفال بذكرى ميلاد سيد الأنبياء على النحو الذي هو في ديارنا وعصرنا إنما استحدثه المتأخرون في دولة (العبيديين) الذين تعرفهم العامة بالفاطميين ، والمحققون من علماء التاريخ يأكدون أنَّ أولئك

---

[1]) صحيح البخاري كتاب الشهادات باب(لايشهد على شهادة جور إذا أشهد) وصحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة)باب(فضل الصحابة)حديث رقم (٢١٠-٢١٦/٢٥٣٣-٢٥٣٦)

القوم ليس لهم بالسيدة الجليلة فاطمة بنت رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - أدنى صلة بل هم كذابون في زعمهم تلك النسبة وإذا ما كان لسان مقالهم يتصايح بدعوى هذه النسبة ، فإنّ لسان حالهم وما أحدثوه من البدع وإماتة السنة النبوية ليؤكد أنهم ليسوا من آل بيت النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – في شيءٍ البتة

وثمّ سؤالٌ : لو سلمنا – جدلاً – أن في مثل الاحتفال الذي ابتدعه العبيديون (الفاطميون) خيرًا أ جهل الرسول - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وأصحابه وتابعوهم هذا الخير أم علموا به وتركوا أخذه والدلالة عليه ؟!!!

يروى أنّ " ابن مسعود " - رَضِيَ اللهُ عَنْه –رأي قوما قد اتخذوا أمرًا لم يكن على عهد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فقال لهم : ((يا قوم أنتم أهدى من محمد أو لأنتم على شعبة ضلالة ؟))([1])

وغير خفيٍ أنهم لن يستطيعوا أن يقولوا نحن أهدى من رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ، وإلا كفروا ، فلا يبقى إلا الثانية وكذلك المتخذون الاحتفال بميلاد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – على النحو القائم في ديارنا يقال لهم ذلك : يا قومُ أنتم أهدى من محمد أو لأنتم على شعبة ضلالة ؟أيمكن أن يقولوا أنهم أهدى من رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم - ؟..ألا يعلم المبتدعون في الدين أنه سيكون من جزائهم يوم القيامة أن يزادوا عن كوثر رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – كما جاء في صحيح السنة

---

[1]) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٧٦ـ ط: دار الحديث بالقاهرة

روى مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أُنْزِلَتْ عَلَىَّ آنِفاً سُورَةٌ ». فَقَرَأَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ». ثُمَّ قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ». فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِى . فَيَقُولُ مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ ». زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِى حَدِيثِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِى الْمَسْجِدِ . وَقَالَ « مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ ». (1)

***

وهنا قديزعم مستمسك بمثل تلك الاحتفالات ، فيقول سلمنا أنَّ ذلك لم يكن على عهد النبوة والخلافة الراشدة ولا على عهد الصحابة والتابعين ولكنه من البدعة الحسنة ، والفاروق عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْه - قد وصف بدعة بأنها حسنة :

روى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِىِّ أَنَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - لَيْلَةً فِى رَمَضَانَ ، إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّى الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّى الرَّجُلُ فَيُصَلِّى بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّى أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِى يَنَامُونَ

---

(1) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة – حديث رقم (٤٣/٤٠٠)

عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِى يَقُومُونَ . يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ .)) (1)

فدلّ هذا على أننا يمكن أن يقال على بعض ما لم يكن في عهد النبوة والخلافة الراشدة ولم يكن فيه من الضرر شيءٌ إنّه بدعة حسنة .

قد يقال هذا ولكنّ دفعه ونقضه قريب مكين:

ما فعله الصحابة ووصفه سيدنا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْه – أكان محدثا مبتدعا لم يقع مثله في عهد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم ؟

لا يمكن أن يجيب عاقل نعم هو مستحدث مبتدع ، وإلا وصم نفسه بالجهل الذي يغرض عليه أن يقطع لسانه فلا يتكلم بعدها .

الذي جاءت به السنة أن رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – كان قد صلّى التراويح بهم في شهر رمضان بعض أيامه ثم لمّا رآهم قد كثر اجتماعهم وحرصهم على أن يصلي بهم توقف ولم يصلِّ بهم بقية الشهر مخافة أن تفرض عليهم صلاة القيام جماعة في المسجد ولا يطيقون .

روى البخاري بسنده عن عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى فِى الْمَسْجِدِ ، وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ، فَصَلَّوْا مَعَهُ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا ، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى ، فَصَلَّوْا بِصَلاَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا

(1): صحيح البخاري كتاب التراويح باب : فضل من قام رمضان

بَعْدُ،فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَىَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّى خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا » . فَتُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ)([1])

فهذا الذي فعل الصحابة وقال عنه سيدنا عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْه – " نعم البدعة "ما هو ببدعة شرعية ، لأنَّ النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – كان قد فعل ذلك ثم انقطع عنه لعلةٍ ،وهذه العلة قد زالت بانقطاع الوحي وهي مخافة أن تفرض عليهم ، فصح أن يستأنفها الصحابة وأن يمتدح الفاروق استئنافها ، فسمى استئنافها بدعة أي محدثة من بعد انقطاع ، لا أنه بدعة لم تسبق لها وجود ، فكل ما أذن الرسول - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – في فعله ولم يعزم عليه لعلة ففعل من بعده لا يكون بدعة بل هو من تحقيق ما رغب فيه رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وتوقف لعارض ، ومثله لو أن المسلمين هدموا بناء الكعبة وأدخلوا ما يعرف بحجر إسماعيل في البناء لما كان هذا بدعة لأنَّ ذلك هو الأصل ، وذلك الذي كان يتمنى الرسول - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فعله ولكنَّه لم يفعل ؛ لأنَّ القوم حديثو عهد بالإسلام فتركه رأفة ورحمة بهم

روى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنهم - زَوْجِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا « أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ « لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ » .....)([2])

[1]) صحيح البخاري : كتاب التراويح- باب فضل من قام رمضان

[2]) صحيح البخاري كتاب : الحج باب (فضل مكة وبنيانها)

وكيما أزيدك علما بما عليه المحققون من أهل الفقه الفتوى بهذه المسألة أوثر أن آتيك برسالة فقيه مُحَدِّث أذكر لك نصها معلقاً بعضًا من الحواشي بما أراه معينا على حسن فقهها .

إنها رسالة (المورد في الكلام عن عمل المولد)

تاليف : تاج الدين عمرو بن علي اللخمي الشهير بالفاكهاني (٦٥٤-٧٣٤هـ)

نص رسالة

(المورد في الكلام عن عمل المولد)

تاليف

تاج الدين عُمر بن علي اللخمي الشهير

بالفاكهاني

(٦٥٤-٧٣١هـ)

..تقدمة .... هذه الرسالة عمد فيها مؤلفها " الفاكهاني" إلى بيان حكم الاحتفال بمولد النبي - صَلَّى اللهُ عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - كما درجت عليه العامة

***

والفاكهاني هو: تاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الاسكندري .(٦٥٤-٧٣١) فقيه مالكي ونحوي أديب مُحَدِّث وهو من تلاميذ المكين الأسمر وابن المنير وابن جماعة وابن دقيق العيد

من مؤلفاته :

- = التحرير والتحبير : شرح رسالة ابن ابي زيد في الفقه المالكي
- = المنهج المبين في شرح الأربعين : شرح احاديث الأربعين النووية
- = رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- = الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير
- = الغاية القصوى في الكلام على التقوى
- = الإشارة في النحو
- = التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة
- =اللمعة في وقفة الجمعة
- =المورد في المولد ([1])

---

[1] - ترجمته في : البداية لابن كثير ١٤ : ١٦٨ و : الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ : ١٧٨ ، ١٧٩ ،و : بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٦٢ ،و حسن المحاضرة ج ١ : ٢٦١ ،و شذرات الذهب لابن عماد ج ٦ : ٩٦ ، ٩٧ ،و كشف الظنون لحاجي خليفة ٩٨ ، ٨٤١ ، ١١٧٠ ، ١٨٨٣ و البغدادي : وايضاح المكنون للبغدادي ج ١ : ٥٩٩ ، ٢ : ٥٤٥

الحمدً للهِ الذي هدانا لاتباع سيّدالمرسَلِين وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسّر لنا اقتفاءَ أثرِ السّلف الصالحين حتّى امتلأت قلُوبنا بأنوار علم الشَّرْعِ وقواطع الحقِّ المبين وطهّر سرَائرنا من حدثِ الحوادثِ والابتداعِ في الدِّينِ .

أحمدُهُ عَلَى ما منَّ به من أنوارِ اليقين .وأشكرهُ عَلَى مَا أسدَاهُ من التَّمسكِ بالحبْلِ المتين .

أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه وحده لا شريك له وأنَّ مُحمّدًا عبدُه ورسُولُهُ سيّد الأولين والآخرين .

صلّى اللّهُ عليْهِ وعلَى آلِهِ وأصحابِهِ وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين صلاة دائمةً إلى يومِ الدين .

أما بعد فإنَّه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد :

هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحَدَث في الدين؟

وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً، والإيضاح عنه معيناً، فقلتُ وباللّه التوفيق:

" لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب و لا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطَّالون،

وشهوة نفس، اعتنى بها الأكالون[1] بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا :

إما أن يكون واجباً أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.

وليس بواجب إجماعاً ولا مندوباً، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذَم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرعُ، ولا فعله الصحابةُ، ولا التابعون، ولا العلماءُ المتدينون فيما علمتُ، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلتُ.

---

[1]) من المعلوم المحقق أن أول من ابتدع الاحتفال بمولد رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – في شهر ربيع الأول من كل عام إنما هم (العبيديون) الذين حكموا مصر ، وهم الذين تعرفهم العامة باسم الفاطميين ، فإن المعز العبيدي هو الذي ابتدأ هذا الاحتفال ،وهذا ما قررته كتب التاريخ كما جاء في خطط المقريزي ،وفي اتعاظ الحنفا له أيضًا وجاء في سبل الرشاد للصالحي ،وشأن العبيديين بالسنة معلوم فهم الذين أماتوا كثيرًا من السنن وأخترعوا كثيرًا من البدع التي ما تزال آخذة بخناق كثير من العامة في ديارنا ، فما يسمى بالمواسم الإسلامية في ديارنا المصرية كثير ، وهو من ابتداع أولئك العبيديين الذين يدجلون على الناس بانتسابهم زورا إلى الفاطميين ،وما يكون لأحد من نسل النبي - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – يعمل جاهدا على محاربة سنته وإقامة البدعة مقامها ، فإن تصايح لسان مقالهم زورًا بانتسابهم إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، فإن لسان حالهم وهو أصدق وابلغ ينادي عليهم كل صباح ومساء ،ويملأ كل أذن بأنهم أعداء سنة رسول الله - صلّى الله عليْه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – فإن من أحيي بدعة يميت سنة ،ومن أحيي سنة يميت بدعة .

ولا جائزٌ أن يكون مُباحاً ؛لأنَّ الابتداعَ في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين ([1]) فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً

---

[1]) روى البخاري في صحيحة من كتاب الجمعة بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ». وَيَقُولُ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ».

فهذا الحديث قطعيُّ الثبوت و الدلالة على أنَّ كلّ محدثة في الدين بدعة وأنّ كلّ بدعة في الدين ضلالة. فلا يأتي أحد من الأمة ليخصص العام فيقسم البدع في الدين إلى بدعة حسنة وبدعة غير حسنة . فإن السنة لا يخصص عمومها أراء العلماء ومن دونهم السنة لا يخصصها إلا سنة مثلها . و لا يقيّد مطلقها إلا سنة مثلها . فوجب علينا أن نلتزم بأدب أهل العلم .وان نتقي الله - سُبْحانَه وتَعَالَى - في دينه وعباده .

وعلينا أن نتذكر أن المستحدث الذي هو بدعة ضالة إنما هو المستحدثُ في أمور الدين أمَّا المستحدث في أمور الدنيا وكان نافعا للناس فإنّه ممَّا يحسن بالمسلم أن يأخذ به . وأن يستثمره فيما ينفع الناس .فلا يتصايح أحد من العلمانيين والماسونيين والنخبة المثقفة وأحبار وكهنة وزارة الثقافة والإعلام بأنكم أيها الدعاة تستخدمون السيارات والمذياع والكهرباء وغير ذلك من آثار التقدم العلمي وهذا محدث فهو بدعة وهو ضلالة .

هم يزورون على الناس لأنهم يُرضون أسيادهم ومن نصبوهم في كراسيهم بهذا التزوير لأن التزوير في كل شيء هو منهاجهم في الحياة وهو الذي جاءوا بسببه إلى مواقعهم التي يتسلطون بها على الناس .وإلى الله - جَلَّ جَلالُهُ - المشتكى .

وحينئذٍ يكونُ الكلامُ فيه من فصلين، والتفرقة بين حالين:
أحدهما :
أن يعمله رجلٌ من عَيْنِ ماله لأهله وأصحابه، و لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يَقْتَرِفُون شيئاً من الآثام.
وهذا الذي وصفناه بأنه بِدعة مكروهةٌ وشنيعةٌ : إذ لم يفعله أحدٌ من مُتقدِّمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سرج الأزمنة، وزين الأمكنة. ([1])

[1]) تأمل ما قيّد به الفقيه الفاكهانيّ الحالة التي حكم فيها بأنها بدعة في الدين أي عمل ضال شنيع : قيد الاحتفال بأن يقتصر على ان يجمع رجل أهله وأصحابه فقط على الطعام وأن يكون هذا الطعام من ماله هو وألا يتجاوز هذا الاجتماع الأكل ثُم ينصرفون دون أن يصاحب هذا غناء أو شيءٌ مما حرم الله - سُبْحانَه وتَعَالَى - من اختلاط الذكور والإناث صغارًا أو كبارًا أو تنشد قصائد في إطراء النبي - صَلَّى اللهُ عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - مما هو مشهور من قصائد الإطراء التي تنسب إلى رسول الله - صَلَّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - ما ليس له بل لله رب العامين وحده ودون الصلاة عليه - صَلَّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - بصيغ صلاة غير مشروعة مما نجده في كثير مما يعرف بأوراد وأحزاب غير قليل من الطرق الصوفية التي تصف رسول الله - صَلَّى الله عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم - بما لا يجوز أن يوصف به بشر قط
كل هذه قيود قيّد به الفقيه الفاكهاني الحالة التي حكم عليها بانها بدعة مكروهة

والثاني:

أن تدخلَه الجناية. وتقوى به العناية حتى يُعطي أحدهم الشيءَ ونفسُه تَتَبَّعُه. وقلبُه يُؤلمه ويوجعُه. لما يجدُ من ألم الحَياء ([1])وقد قال العلماء: أخذ المال حياءً كأخذه بالسيف. لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شيءٌ من الغناء. مع البطون الملأى. بآلات الباطلِ من الدفوف والشبابات ([2]) واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات.

---

[1]) إعطاء المحتاجين والعامة أموالهم لمن تسلط عليهم من ذوي اليد العليا عليهم من أمناء الأحزاب السياسية ورؤساء المجالس المحلية ومشايخ الطرق الصوفيه وشيوخ القبائل في القرى ليصنعوا احتفالا بمولد نبي أو ولي هذا ليس من الحياء في شيءٍ بل هو ضعف ومذلة ممن يعطي ماله بل قوت نفسه وأطفاله لهم . فالحياء لا يأتي إلابخير ،و الحياء هو قوة نفسية تمنع صاحبها مما لايرضي الله - سُبْحانَه وتَعَالَى - وتبعَثه على مقاومة أن يكون ذليلا لأحد غير الله - سُبْحانَه وتَعَالَى - فكل من أعطى أحدًا شيئًا بغير رضاه ورغبته في أمر ليس من طاعة الله - عَزَّ وَجلَّ - فليس هذا من الحياء إنّه الذل والهوان الذي الموت خيرٌ منه في الدنيا والآخرة .

[2]) الفقهاء وأهل الفتوى على أن الغناء الذي تصاحبه آلات الموسيقى ومظاهر اللهو حرام وإن كان المغني رجلا كبير السن لرجال قد بلغوا من الكبر عتيا فكيف إذا ما كان المغنى امرأةً تغني لجمع فيه رجال وكيف إذا ما كانت المرأة فتاة ذات جمال وذات دلٍّ ؟ فكيف إذا ما كشفتْ عن عورتها ؛ ؟ فكيف إذا ما تفننت في توزيع نظراتها المثيره ؟ فكيف إذا ما صاحب هذارقصٌ ما جن ؟ فكيف إذا ما صاحب هذا احتساء خمر وشرب مخدر ؟ فكيف إذا ما تلاصقت أجساد الذكور والإناث ؟ فكيف إذا ما أطفأت الأنوار ؟!!!!

إما مختلطات بهم.و إما مشرفات.والرّقص بالتّثنّي والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف

وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهنّ رافعات أصواتهنّ بالتّنهيك والتّطريب في الإنشاد والخروج في التّلاوة والذكر المشروع .والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى :(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (الفجر:١٤) .

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان. ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان

وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب. وغير المستقلّين من الآثام والذنوب ([1]) وأزيدك أنّهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرّمات ([2]) فإنّا لله وإنّا إليه راجعون...

---

[1]) أي الذين لا يتقللون من الآثام بل يكثرون من اقترافها

[2]) إذا ماكان هذا حال العامة في القرن الثامن الهجري فإن الأمر أنكى منه من بعده بسبعة قرون ، فإن فينا من يرى أن من يقول بان هذا الاحتفال مما لايليق بمسلم على النحو الذي يجري عليه في المدن والقرى على السواء إنما هو مبغض لرسول الله - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وممن يصد الناس عنه محبة رسول الله وآل بيته والأولياء . هكذا يقلبون القضية

بل ربما أدخله بعضهم في شؤون السياسة العامة للدولة او لنظام الحكم ليستعدي السلطان بهذه الكلمة (الاعتداء علىالنظام) فهي أشد عندهم جريرة وموبقة من الاعتداء على سنة رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آلِهِ وَصَحْبِه وسلَم – وعلى القرآن الكريم وعلى الله - سُبْحانه وتعَالَى -

((بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ" ([1])

ولله درُّ شيخنا " القشيري " حيثُ يقول فيما أجَازَنَاه :

قَدْ عُرِفَ المُنْكَرُواستنكر الـ ـمَعْروفُ في أيّامِنا الصّعْبَة
وصَارَ أهْلُ العِلْمِ في وَهْدَةٍ وصارَ أهلُ الجهلِ في رتبَةٍ
جازوا عَنِ الحَقّ فما للذي سارُوا بِهِ فِيما مضَى نسبة
فقلتُ للأبْرارِ أهلِ التّقَى والدّين لمّا اشتدّت الكُربَة
لا تُنْكِرُوا أحوالَكمْ قد أتَتْ نوبَتُكُمْ فِي زمَنِ الغُربَةِ

ولقد أحسن الإمام " أبو عمرو بن العلاء" حيثُ يقولُ :

" لايزَالُ النّاسُ بخَيْرٍ مَا تُعُجِّبَ مِنَ العَجَبِ"

هذا مع أنَّ الشهر الذي وُلِدَ فيه - صَلَّى اللّه عليْه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم – وهوَ ربيعٌ الأوَّل هو بعينه الشّهر الذي توفي فيهِ . فليسَ الفرحُ فيه بأولى من الحزن.

وهذا ما علينا أنْ نقول .ومِنَ اللّهِ تعالى نرجو حسن القبول "

[انتهت رسالة الفاكهاني بحمد الله تعالى]

---

[1]) حديث رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ». كتاب (الإيمان) باب (بيان أن الإسلام بدأ غريبا)(حديث رقم : ٢٣٢/١٤٥)

فاصلة الرسالة

إنهُ لمنْ عَليِّ الأمْرِ وجليله أنْ أختم هذه الرِّسالة بالتّذكيرِ بنداء الله - سُبْحانه وتعَالَى - علينْا في مفتتح سورة الصفِ وفي مختتمها إذ يقول - جَلَّ جَلالهُ - :
(يَا أيُهَا الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تقُولُونَ مَا لا تفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عندَ الله أنْ تقُولوا ما لا تفْعَلُونَ * إنَّ اللهَ يُحبُّ الّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِه صَفّاً كَأنّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ)(الصف : ٢-٤)
يَا أيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليمٍ * تُؤمِنُونَ بِالله وَرَسُولِه وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأمْوَالِكُمْ وَأنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُمْ تعْلَمُونَ *يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ* وَأخْرَى تُحِبُّونَهَا نصْرٌ مِنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ* يَاأيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونُواأنصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلحَوَارِيِّينَ مَنْ أنصَارِي إلَى الله قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنصَارُالله فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأيَّدْنَاالّذِينَ آمَنُواعَلَى عَدُوِّهِمْ فَأصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (الصف: ١٠- ١٤)
ذلكَ أنّا في عصرنا هذا لفي أشد الافتقار إلى أن نتلبث مليًا عند هذه الآيات نتغنى بها ونتدبرها ، ونتضلع بمعاني الهدى فيها لعلنا نعقد العزم ونوطن النفس ونحمل الجوارح على أن ترابط في سبيل الله - عزَّ وَجلَّ - طلابَ علم بالكتاب والسنة و طلابَ شهادةٍ في سبيل الله - جَلّ جلالهُ - لنجمع لقومنا إكرامين:
- إكرام هدايتهم الصراط المستقيم بتعليمهم كتاب الله - سُبْحانه وتعَالَى - وسنة نبيه - صَلَّى الله عليه وعلى آله وَصَحْبه وسَلَم - وحماية أعراضهم وأنفسهم بالجهاد في سبيل الله .
- وإكرام الشفاعة في من استوجب النار منهم يوم القيامة لما للعالم والشهيد من فضيلة الشفاعة في من وجبت له النار من أهله المسلمين ، كما هدت إلى ذلك السنة النبوية المطهرة :

((عن عُثمان بنِ عفّانَ - رَضيَ اللهُ عَنه - قال : قال: رسول الله - صَلى الله عليه وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه وسَلَم -:"يشفعُ يومَ القِيامة ثلاثةٌ:الأنبياءُ ثُمّ العُلماءُ ثمّ الشهداء "(سنن ابن ماجة: كتاب الزهد - باب ذكرالشفاعة - حديث: ٤٣١٣)

وللك أن تنظر في نسق الثلاثة : ذكر أولا الأنبياء ذاك أنه بهديهم يكون العلماء ، فالعلماء ثمرة من ثمار النبوة ، وبما يُعلّمه العلماءُ النّاسَ من الهدى ينبعث في الأمة من يسعى الى أن يجاهد في سبيل الله - عَزّ وَجلّ - دفاعا عن الدين وعن الأعراض والعباد والأموال ، فيكون الشهداء ، فالشهداء ثمرة من ثمار فعل العلماء، فمنزلة العالم العامل بما يعلمه من الكتاب والسنة منزلة تتلو منزل النبوة وتسبق منزل الشهداء على الرغم من علو منازل الشهداء يوم القيامة

وكلّ أبٍ ناصح نفسه في الدارين عليه أن يحرص الحرص البالغ في أن يعد من ولده لنفسه ذخرًا يوم القيامة ، فيعمل على أن يكون من ولده عالمًا بالكتاب والسنة داعيا إليهما بالحكمة والموعظة الحسنة عاملا بما علم ، وأن يكون هذا فخره وهذا فرحه وطمأنينة نفسه ، وأن يكون له من ولده شهيد في سبيل الله - عَزّ وَجلّ - فإن تثقيف أبناءنا ثقافة العلم والاستشهاد لفريضة علينا حتى تكون أمتنا أمة علم وأمة جهاد في سبيل الله - عَزّ وَجلّ - فبهذين العلم والجهاد في سبيل الله يتحقق للأمة عزها وسعادتها ورخاؤها وأمنها

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّايَجْمَعُونَ)(يونس:٥٨)

اللهمّ صَلّ وَسَلِّم ، وبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ ورسُولِكَ مُحَمّد بن عبد الله وعَلَى آلِهِ وصَحْبِه وأمّتِه ،كما تُحبُّ ، وترْضَى عَدَدَ خَلْقِك ، وَرِضَاءَ نَفْسِكَ ، وزِنةَ عَرْشِكَ ،وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ إنك حَميدٌ مَجيدٌ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِين وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ

وكتبه : مَحْمُود توفِيق مُحَمّد سَعد

الأستاذ في جامعة الأزهر الشريف

القاهرة : حدائق الزيتون

الثلاثاء: ١٤٢٥/٢/١٥هـ

رقم الأيداع : ٨٢٠٠ / ٢٠٠٤

ترقيم دولى 6-346-224-977